العوامل الكونية وأثرها على أحوال السكان في بلاد نجد

٨٥٠ - ١١٥٧هـ

دراسة من خلال روايات المؤرخين النجديين

د. محمد بن سليمان الخضيري
قسم التاريخ والحضارة - كلية العلوم الاجتماعية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

مقدمة

إن المتتبع لأحوال البلاد النجدية خلال العصر الحديث يلحظ نقصًا واضحًا وشحًا ظاهرًا في المعلومات اللازمة لبيان وشرح ما كان عليه حال تلك البلاد، كما يلاحظ انعدام أي نوع من الإحصاءات الاقتصادية للمنتجات الزراعية أو الرعوية، ولم يكن هناك إثبات لما تجلبه القوافل التجارية من خارج حدود بلاد نجد، ولا يلام في هذا النقص المؤرخون الذين عاشوا تلك الفترة، أو المتأخرون عنها؛ لأن الباحث يجد عددًا لا بأس به من المصادر التي دونت أحداث تلك الفترة بتفصيل معقول بالنظر إلى محدودية الإمكانات المتعلقة بالاتصال بين البلدان وتسجيل كل ما يجري فيها، لكن الباحث والمطلع، في الوقت الذي يجد فيه بسطًا لا بأس به في

المعلومات عن الأحوال السياسية المتعلقة ببلاد نجد، إلا أنه يصاب بخيبة كبيرة عندما يجد معلومات شحيحة ومتناقضة، بل وانعدام تلك المعلومات لسنوات معتبرة في بعض الفترات فيما يخص النواحي الحضارية والاجتماعية والاقتصادية. ومن غير شك؛ فإن هناك عوامل متعددة، إيجابية أو سلبية، أثرت على أحوال السكان ونشاطهم في بلاد نجد بتقدير من الله: منها ما كان من تدخل البشر مثل الحروب والمنازعات، ومنها ما كان من تأثير العوامل الكونية، وخاصة العوامل المناخية وما ينتج عنها من تأثير مباشر على حياة الناس في أي مجتمع. ومن هذا الواقع؛ فإن تأثير العوامل الكونية على أحوال السكان في بلاد نجد كان أمرًا واضحًا خلال فترة الدراسة. ومن هذا المنطلق اخترت موضوع هذه الدراسة عن "العوامل الكونية وأثرها على أحوال السكان في بلاد نجد ٨٥٠ - ١١٥٧هـ، دراسة من خلال روايات المؤرخين النجديين".

وإذا كان لكل عمل علمي هدف؛ فإن هدفي من إعداد هذه الدراسة يتركز في عدة أمور:

الأول: استخلاص ما حوته المصادر النجدية المعاصرة والمتأخرة من روايات عن العوامل الكونية التي وقعت في بلاد نجد خلال فترة الدراسة، ثم تحليل معلوماتها وتصنيفها بحسب أنواعها من أجل رسم صورة مكتملة لتلك العوامل.

الثاني: أن هذه الدراسة تدخل ضمن اهتمامي بتاريخ المملكة العربية السعودية في العصر الحديث، والتركيز على الجوانب التي نالت قدرًا ضئيلاً من اهتمام الباحثين، وخاصة المؤرخين، وإبراز الدور الرائد لهذه البلاد في الماضي مثلما هو دورها في عالمنا المعاصر.

الثالث: حفز همم المشتغلين بالتاريخ، وغيره من العلوم الاجتماعية، وتذكيرهم بأن تاريخ بلادهم ما زال موضوعًا بكرًا يحتاج إلى جهود متكاتفة لإظهاره للناس، وبيان الدور الرائد الذي قامت به بلادهم في هذه الفترة من الزمن.

الرابع: تهدف هذه الدراسة إلى تذكير الأجيال الحاضرة بما كان عليه حال بلادهم من قسوة في الحياة، وما عاناه أجدادهم من شدة وفاقة، وعليهم مقارنة هذا الحال بما يعيشونه اليوم من نعمة عظيمة في الأمن والعيش الرغيد، وهي مقارنة تذكرهم بوجوب شكر الله المنعم بها عليهم.

وباستقراء المعلومات المتوافرة؛ فإن تأثير تلك العوامل في النواحي الاجتماعية والاقتصادية على السكان في بلاد نجد كان طابعه العام سلبيّاً، إذ إنه على الرغم من هطول الأمطار في سنوات معينة، وما نتج عنها من حصول الخصب ورخص الأسعار مما أدى بالتالي إلى تحسن أحوال الناس الاجتماعية والاقتصادية، فإن الطابع العام لحياة الناس في تلك الفترة هو القسوة والشدة المتمثلة في نزول الأمطار على شكل سيول جارفة تهدد حياة السكان بتهديم بيوتهم أو تخريب مزارعهم. كما تتمثل تلك الشدة في القحط الناشئ عن تأخر هطول الأمطار لمدة تطول أو تقصر مما ينتج عنه غلاء الأسعار وهلاك المواشي. ومن العوامل الكونية الأخرى التي كان السكان يعانون منها وتؤثر سلبًا على أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية هو تساقط البَرَد المصاحب للأمطار والسيول وكُبر حجمه الذي يتبارى المؤرخون النجديون في وصفه وشدة تأثيره، كذلك انخفاض درجة الحرارة إلى درجة التجمد التي يعبر عنها المؤرخون بالوصف بأنه بَرْد جمد بسببه الماء على ما يلامسه من الأشجار وغيرها. ولا شك أن الرياح العاتية التي تهب بين الفينة والأخرى تؤثر سلبًا على أحوال السكان، خاصة بما تسببه من اقتلاع الأشجار وخاصة النخيل التي تشكل العامود الفقري في حياة الناس الاقتصادية والمعيشية. وإذا خلا الوقت من أصناف الشدة المذكورة آنفًا تسلطت عليهم أسراب الجراد والدبى التي تأكل الأخضر وتترك اليابس مما يزيد أهل نجد قسوة في حياتهم. وفوق هذا وذاك كان أهل نجد على موعد مع الأوبئة والأمراض التي تفاجئهم في بعض السنوات فتقتل أناسًا وتعيق آخرين دون تمييز بين صغير وكبير مما يشل الحياة لمدة طويلة. ورغم هذه الشدة والقسوة الغالبة التي عانى منها سكان البلاد النجدية، والتي اضطرت بعض السكان إلى الارتحال،

لمدة مؤقتة أو دائمة، إلى البلاد المجاورة مثل الأحساء والبصرة والزبير، إلا أن عجلة الحياة لم تتوقف نتيجة لتلك العوامل التي عانى منها الناس في هذه البلاد، أيّما معاناة إيماناً بالله، ورضاء بما قسم الله لهم، وانتظاراً للفرج منه سبحانه وتعالى.

وسنتناول في الصفحات التالية تلك العوامل التي أثرت على أحوال السكان في بلاد نجد خلال السنوات التي تغطيها هذه الدراسة من منتصف القرن التاسع حتى منتصف القرن الثاني عشر الهجري. أما تحديد البداية فلأن المصادر النجدية بدأت تدوين الأحداث في بلاد نجد عامة ابتداءً من عام ٨٥٠هـ، ثم بدأ تضمين الحديث عن العوامل الكونية وآثارها بعد هذا التاريخ بمدة تطول أو تقصر حسب منهج كل مؤرخ. أما تحديد النهاية فقد توقفت عند قيام الدولة السعودية الأولى عام ١١٥٧هـ، حيث سبق أن نشرت بحثاً مماثلاً يخص الفترة التي عاشتها الدولة السعودية الأولى والثانية. (١)

أما المصادر والمراجع فقد صنفتها إلى قسمين: المصادر والمراجع الرئيسة التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة (وهي التي أشير إليها في ثنايا الدراسة بالمصادر النجدية أو المؤرخين النجديين) وتتركز على المصادر والمراجع التي دونها المؤرخون النجديون الذين عاصروا فترة الدراسة، أو بعض تلك الفترة، أو الذين نقلوا عن معاصريها بدقة وتحرٍّ، وعدم تسجيلهم من الحوادث إلا ما يعتقدون صحته ووقوعه. والقسم الثاني: هي المصادر والمراجع الثانوية التي اهتمت بالموضوع أو استعين بها في جوانب من الموضوع.

والمؤرخون النجديون الذين دونوا المصادر الرئيسة لهذه الدراسة هم بحسب أقدميتهم:

- أحمد بن محمد التميمي النجدي (الشهير بالمنقور) (١٠٦٧-١١٢٥هـ) في كتابه تاريخ الشيخ أحمد بن محمد المنقور الذي حققه ونشره الدكتور عبد العزيز الخويطر عام ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م. (بدأ تسجيل الحوادث في عام ١٠٤٤هـ حتى عام ١١٢٣هـ بينما بدأ في تسجيل الحوادث الكونية خلال فترة الدراسة من عام

١٠٤٧هـ حتى عام ١١٢٣هـ)

- محمد بن ربيعة العوسجي الدوسري (توفي عام ١١٥٨هـ) في كتابه تاريخ ابن ربيعة الذي قام بدراسته وتحقيقه والتعليق عليه الدكتور عبد الله بن يوسف الشبل، ونشره النادي الأدبي بالرياض عام١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م. (بدأ تسجيل الحوادث في عام ٩٤٨هـ حتى عام ١١٤٨هـ، بينما بدأ في تسجيل الحوادث الكونية خلال فترة الدراسة من عام ١٠٤٦هـ حتى عام ١١٤١هـ)
- محمد بن عمر الفاخري (١١٨٦-١٢٧٧هـ) في كتابه الأخبار النجدية الذي قام بدراسته وتحقيقه والتعليق عليه الدكتور عبد الله بن يوسف الشبل، ونشرته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. (بدأ تسجيل الحوادث في عام ٨٥٠هـ حتى عام ١٢٨٨هـ، بينما بدأ في تسجيل الحوادث الكونية خلال فترة الدراسة منذ عام ١٠٤٧هـ حتى عام ١١٥٥هـ)
- عثمان بن عبد الله بن بشر (١٢١٠-١٢٩٠هـ) في كتابه عنوان المجد في تاريخ نجد، جزآن، له عدة طبعات اعتمدنا في هذه الدراسة على النسخة التي حققها وعلق عليها عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، ونشرته دارة الملك عبد العزيز عام١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م. (بدأ تسجيل الحوادث في عام ٨٥٠هـ، بينما بدأ في تسجيل الحوادث الكونية خلال فترة الدراسة من عام ١٠٢٧هـ حتى عام ١١٥٥هـ)
- عبد الله بن محمد بن عبد العزيز آل بسام (توفي عام ١٣٤٦هـ تقريبًا) في كتابه تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق. وهو لايزال مخطوطًا. (بدأ تسجيل الحوادث في عام ٨٥٠هـ حتى عام ١٢٦٨هـ، بينما بدأ في تسجيل الحوادث الكونية خلال فترة الدراسة من عام ٨٥٦هـ حتى عام ١١٥٥هـ)
- إبراهيم بن صالح بن عيسى (١٢٧٠-١٣٤٣هـ) في كتابه تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على النسخة التي علق عليها الشيخ حمد الجاسر، ونشرتها دار اليمامة عام ١٣٨٦هـ، (بدأ تسجيل الحوادث

من عام ٧٠٠هـ حتى عام ١٣٤٠هـ، بينما بدأ في تسجيل الحوادث الكونية خلال فترة الدراسة من عام ١٠٤٧هـ حتى عام ١١٤٨هـ).

وكما لاحظنا؛ فإنه على الرغم من أن أغلب المؤرخين النجديين الذين اعتمدت هذه الدراسة على كتبهم بدأوا تدوين الأحداث في بلاد نجد منذ عام ٨٥٠ هـ إلا أنهم لم يدونوا في هذه الفترة المبكرة أية حوادث كونية. وباستثناء البسام الذي تحدث عن العوامل الكونية ابتداءً من عام ٨٥٦هـ، نجد المؤرخين الآخرين لم يبدأوا في تدوين الحوادث الكونية وأثرها على أحوال السكان في بلاد نجد إلا في منتصف القرن الحادي عشر. ونستثني ابن بشر الذي سبقهم في الحديث عن تلك العوامل بحوالي عشرين سنة.

ولمزيد من الفائدة وتركيز المعلومات فقد ذيلت هذه الدراسة بجدول يبين السنوات التي غطتها فترة هذه الدراسة، وما حصل في كل سنة فيها من العوامل الكونية، أو خلو بعض السنوات من أحد العوامل أو أغلبها أو كلها لأهمية ذلك في إعطاء صورة عن حالة البلاد النجدية خلال تلك الفترة من جهة، ولإثبات ما ذكرناه من شح المعلومات ونقصها فيما يتعلق بتاريخ البلاد النجدية في الفترة التي تغطيها الدراسة، حيث أظهر الجدول سنوات كثيرة دون أن يسجل فيه حدوث أية عوامل كونية.

وقبل الختام أود التنبيه إلى أن هذه الدراسة ليست دراسة جغرافية لبلاد نجد من حيث الغوص في التحليلات السكانية وأنماطها وأجناسها، أو تحليلات للاختلافات المناخية بين البلاد النجدية أو بين منطقة نجد وغيرها من المناطق. وفي المقابل؛ فإن هذه الدراسة ليست دراسة اقتصادية لبلاد نجد لأن الدراسات الاقتصادية تعتمد أساسًا وبشكل تام على الإحصاءات للمنتجات والصادرات والواردات والميزان التجاري وغيرها من الأدوات اللازمة للبحوث الاقتصادية مما يعرف اليوم، ولم يكن موجودًا في المصادر المتاحة التي نشرت حتى الوقت الحاضر. والواقع أن هذه الدراسة هي تحليل تاريخي لواقع البلاد النجدية وأهلها في

ظل عوامل كونية إيجابية أو سلبية وفي ظروف مناخية ومعيشية قاسية.

وسيلاحظ القارئ أن تحليل العوامل، سواء الإيجابية أو السلبية، وخاصة في دراسة حالات الخصب وحالات القحط والجدب، تطلب مقارنة تلك العوامل بأضدادها ولكن باختصار شديد ولخدمة الهدف من إيرادها فقط مع إحالة القارئ إلى مكانها في البحث. وقد لجأت إلى ذلك لأن الصورة العامة للوضع في بلاد نجد لا تكتمل إلا بتلك المقارنة، والأشياء لا تتبين أهميتها إلا بمقارنتها بأضدادها.

وفي الختام أرجو أن أكون قد وفقت في إيضاح جانب من الصورة التي كانت عليها حياة السكان في بلاد نجد، والظروف القاسية التي عاشوها في تلك الفترة الماضية من تاريخ هذه البلاد. وإن كان لي من عزاء فهو ندرة الدراسات عن هذه البلاد، وقلة المعلومات في مصادرها، بل وتناقضها أحيانًا، أو إغفال سنوات دون الحديث عنها في أحيان أخرى، كما يتضح من الجدول المرفق. وأسأل الله تعالى أن يجعل أعمالي وأقوالي خالصة لوجهه الكريم، وأن يهديني الطريق المستقيم، وأن يقيني الزلل إنه نعم المولى ونعم النصير والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

تصنيف العوامل الكونية:

نظرًا إلى أن مفهوم عبارة العوامل الكونية يقصد به، في هذه الدراسة، تلك العوامل التي تحصل - بإذن الله - من خلال العوامل المحيطة بالإنسان ومن أهمها العوامل المناخية، وحالة المجتمع وما يحل به - بإذن الله - ثم بسبب عوامل أخرى من أمراض قد تتحول في بعض الفترات إلى أوبئة، مع بدائية الإمكانات وانعدام الوسائل الحديثة لمكافحة الأمراض والآفات والحشرات، ومن أجل النظرة التخصصية فإن هذه العوامل الكونية يمكن تقسيمها بحسب تأثيرها على الناس إلى قسمين رئيسين: عوامل تكون آثارها إيجابية تنمي المجتمع وتجعل حياته هانئة وإنتاجه كبيرًا، وعوامل لها آثار سلبية تؤثر على حياة الناس وتحد من إنتاجهم

ونشاطهم، وهذه بدورها تنقسم إلى عدة أقسام تشمل العوامل المناخية والاجتماعية وغيرها كما سيأتي تفصيله.

أولاً-العوامل الإيجابية:

إن المتأمل في طبيعة البيئة الصحراوية في بلاد نجد والحالة الاقتصادية للسكان وقلة الإمكانات والوسائل الحديثة التي تساعد الناس على الحياة المستقرة لا يتفاءل كثيرًا عند رؤية مثل هذا العنوان، والسبب في ذلك أنه لا يمكن بل من المستحيل على الجيل الحاضر أن يتخيل، مجرد تخيل، مدى المعاناة التي عاشها آباؤهم وأجدادهم في هذه البلاد من قسوة الحياة وصعوبة المواصلات وقلة ذات اليد. ومن هذا المنطلق فإن مفهوم العوامل الإيجابية وآثارها هو أمر نسبي، مع التركيز على ما كان سائدًا خلال تلك الفترة التي تناولتها هذه الدراسة. ولعل أهم العوامل الكونية الإيجابية، بل لعلها الوحيدة، هو هطول الأمطار وما ينتج عنها عادة من الخصب واخضرار الأرض، وهذا بدوره يؤدي إلى رخص الأسعار الضرورية لحياة الناس في تلك الفترة وهو توافر المواد الغذائية التي أهمها التمر والعيش. إن حصول هذا الخصب هو أهم شيء يتمناه سكان البلاد النجدية في تلك الفترة سواء منهم البادية أو الحاضرة، لأنه على الأمطار والخصب تقوم حياتهم الرعوية والزراعية. (٢)

وفي الصفحات التالية سنستعرض هذه العوامل الإيجابية وسنبين مدى تأثيرها على الناس وفرحهم بها. ويجدر الأخذ في الحسبان أن هطول الأمطار لا شك أنه نعمة من الله وفيه خير كثير، لكن هذه الأمطار قد تكون شديدة في بعض الفترات وتهطل على شكل سيول جارفة تؤثر سلبًا على حياة الناس بتهديم منازلهم أو الإضرار بمزارعهم ومواشيهم، ومن هذا المنطلق فسنعرض لهذه السيول خلال حديثنا عن العوامل الإيجابية بسبب ارتباطها المباشر بهطول الأمطار الذي هو خير عميم مع الإشارة إلى الآثار السلبية للسيول متى ما حصلت.

الأمطار والخصب ورخص الأسعار:

في عبارات موجزة ذكر البسام ما حصل في عام ٨٥٦هـ من كثرة الأمطار دون أن يذكر تفاصيل عن زمان هطولها، أو مقدارها، أو مدى استمرارها وشمولها المكاني، لكنه ذكر أثرها المحسوس عادة وهو نبات الأرض وما ينتج عنه من رخص للأسعار. ومع ذلك يبقى هذا الوصف عاماً ومبهمًا، حيث يخلو من بيانات عن مقدار هذا الخصب، ومدى شموليته للبلدان، ومقدار تأثر الناس به، أو ذكر نماذج للأسعار السائدة، وكذلك مدى الرخص، ومقداره، ومقارنته بفترات وأماكن أخرى. (٣)

ومثل ما حصل في عام ٨٥٦هـ من نزول الأمطار ونبات العشب ورخص الأسعار حصل في عام ٨٥٨هـ مثل ذلك. ومع عدم ورود معلومات تفصيلية عن طبيعة هذه الأمطار، ومدى شمولها للبلاد النجدية، وكذلك آثارها، يبدو لنا أن المؤرخين لا يدونون بشكل تفصيلي ما كان أمراً شائع الحدوث أو قليل التأثير. ومما يدل على محدودية تأثير ذلك الخصب هو ما حصل في العام السابق له من كثرة الجراد والدبى(٤) والخيفان الذي أكل ما اخضر من النبات والأشجار فأجدبت الأرض، وأدى بالتالي إلى غلاء الأسعار كما سيأتي تفصيله لاحقًا إن شاء الله. (٥)

وبعد عام ٨٥٨ هـ مضت ست سنوات لم يذكر المؤرخون النجديون، الذين اهتموا بتسجيل الحوادث الكونية وآثارها على أحوال السكان في بلاد نجد خلال هذه الفترة، أية حوادث كونية، إيجابية كانت أو سلبية. وعلى وجه الخصوص لم يذكر هؤلاء المؤرخون استمرار حالة الخصب ورخص الأسعار، كما أنهم في المقابل لم يذكروا حدوث قحط وغلاء. ومع غياب المعلومات خلال تلك الفترة يمكن الاطمئنان إلى تفسير ذلك باستقرار أحوال الناس في بلاد نجد. ومما يدل على ذلك ما ورد عن قافلة تحمل كسوة لأهل الخرج خارجة من الأحساء ومعهم من الأموال والأمتعة شيء كثير. (٦) وعلى العموم؛ فإن حالة الرخاء النسبي خلال هذه الفترة

لم تستمر، حيث وقع في عام ٨٦٢هـ وباء عظيم في مناطق كثيرة من الجزيرة العربية ومنها الأحساء والقطيف وكذلك في البراري. ولم تسلم بلاد نجد من هذا الوباء حيث تأثرت به بعض البلاد في نجد مثل الوشم وسدير. وقد استدرك البسام في روايته بالشك بأن هذا الوباء وقع في عام ٨٦٠هـ. (٧) وهذا يدعونا إلى ترجيح الاحتمال أن يكون هذا الوباء قد ابتدأ في الظهور في الأحساء والقطيف منذ عام ٨٦٠هـ ثم انتشر ووصل إلى بلاد نجد خلال العامين التاليين. وعلى العموم؛ فإنه مما لا شك فيه أن وقوع مثل هذا الوباء كان له أثر سلبي على أحوال الناس الاجتماعية والاقتصادية كما سيأتي تفصيله لاحقًا.

ورغم أن عام ٨٦٤هـ شهد غزارة الأمطار والسيول التي أعادت للأرض خصوبتها ونماءها الذي افتقدته لعدة سنوات، كما أعادت للناس في بلاد نجد الأمل في حياة رغيدة، إلا أن فرحة السكان لم تدم بسبب وقوع الوباء في بلاد كثيرة منها بلاد الخرج والعارض وضرما مشكّلة منطقة كبيرة من بلاد نجد، حيث مات بإذن الله ثم بسبب هذا المرض عدد كبير من السكان لم يُقدّر عددهم بالتحديد لكن قول البسام إنه "مات فيه خلائق كثيرة" يوحي بحجم الكارثة، كما سيأتي تفصيله عند الحديث عن موضوع الأوبئة والأمراض لاحقًا إن شاء الله. (٨)

ثم مضت خمس سنوات كانت شديدة على أهل نجد من انتشار الأمراض، وخاصة الحصبة والجدري، وقلة الكلأ، وتسلط الجراد والدبى الذي أضر كثيرًا بالمزروعات، كل ذلك أجبر كثيرًا من سكان البلاد النجدية على الارتحال إلى البلاد المجاورة كما سيأتي تفصيله في مواضعه من هذه الدراسة. حتى إذا حلت سنة ٨٧٠هـ غير الله الأحوال ورحم العباد حيث رفع عنهم الوباء، وزادهم من فضله بنزول الأمطار في أول الوسمي وما نتج عنها من اخضرار الأرض في كافة بلاد نجد. ومن الدلائل الملموسة على غزارة الأمطار وتتابعها في ذلك العام هو كثرة الكمأة. (٩)

وعلى الرغم من عدم وجود دليل واضح على مدى استمرار هذا الخصب في

السنوات التالية، إلا أن هناك دلائل على تحسن نسبي في الأحوال الاقتصادية في بلاد نجد، منها قدوم قافلة كبيرة لأهل نجد في عام ٨٧٦هـ كانت خارجة من الأحساء بالأموال الكثيرة. (١٠) كما أن عدم حدوث ظواهر كونية سلبية من القحط أو الأمراض أو غيرها، كلها إشارات توحي باستمرار ذلك الخصب والاستقرار الاقتصادي، لكن بشكل عادي لم يجلب إليه الانتباه استمر ثماني سنوات. وعلى العموم؛ فإن هذا الوضع اختلف في عام ٨٧٨هـ عندما هطلت الأمطار، وفي بعض البلاد السيول، التي عمت بلاد نجد وأدت إلى انتشار الخصب في منطقة كبيرة، وعادت أحوال الناس إلى النماء مرة أخرى. ومثل ذلك حصل في العام التالي ٨٧٩هـ لكن في هذه المرة كان هطول الأمطار في الوسمي، وهو ما يدل على عادة على انتفاع الأرض به وحصول الخصب المبكر، بإذن الله ثم بسبب هطول الأمطار مبكرة في الموسم. ومع ذلك تبقى الصورة ناقصة في غياب المعلومات المتكاملة عن تلك الأمطار، ومدى انتشار ذلك الخصب، أو تأثيره على أحوال الناس، أو أثر تلك الأمطار والخصب على الأسعار السائدة مما يجعل الباحث يجد صعوبة في رسم صورة عن الأحوال الاقتصادية لبلاد نجد في تلك الفترة. والاستثناء الوحيد في ذلك هو استمرار هطول الأمطار في فصل الصيف مما كان له أثر سلبي على الخصب والرخاء الذي فرح به أهل نجد، ذلك أن تلك الأمطار الصيفية استمرت في الهطول حوالي عشرين يومًا في وقت كان الناس قد حصدوا زروعهم ووضعوها في البيادر مما سبب لها دمارًا أضاف قسوة إلى الشدة التي انتابت أحوال البلاد النجدية منذ فترة. وعلى العموم؛ فإن هناك بعض الدلائل التي يمكن أن توظّف لإثبات أن الحالة الاقتصادية في بلاد نجد في هذه السنة كانت جيدة نسبيًا. ومن هذه الدلائل قدوم قافلة كبيرة لأهل نجد خارجة من البصرة وفيها من الأموال والأمتعة شيء كثير. (١١)

وبعد هذه الفترة عانت بلاد نجد من ندرة الأمطار وقلة الكلأ والمراعي خلال اثنتي عشرة سنة بين عامي ٨٧٩هـ و٨٩٢هـ. ليس هذا فحسب؛ بل إن بلاد نجد

وأحوالها الضعيفة تضررت في عام ٨٨٣هـ من انتشار الجراد والدبي وكذلك شدة البَرْد الذي كان واضحًا في ذلك العام. كما تضررت المزارع والأشجار من نزول البَرَد في عام ٨٨٥هـ الذي أتلف ما اخضر عوده من تلك الأشجار في عدد من البلاد النجدية كما سيأتي ذكره في موضعه. ولا شك أن هذه الفترة الطويلة نسبيًا التي شهدت قلة الأمطار وتأثر البلاد بعوامل سلبية أخرى أدت إلى زيادة رصيد البلاد من شظف العيش الذي اشتهرت به، وتحمل قسوة الحياة في صبر لا يدركه إلا من تلظّى بحرّه، وكابد جوعه، ونام على الطوى. لكن أولئك الأوائل صبروا على ما قسمه الله لهم مؤمنين بالله ومؤملين به خيراً كما أمرهم الدين الحنيف منتظرين وعده إياهم بأن مع العسر يسراً. وقد يستغرب القارئ كيف كانت حالة أهل بلاد نجد الاقتصادية والمعيشية في الوقت الذي كانت توجد فيه قوافل تجارية تنقل الأطعمة وغيرها من البلاد المجاورة، مثل قافلة الدواسر القادمة من الأحساء في هذا العام، وقافلة عنزة المتجهة إلى الوشم. (١٢) والواقع أن الاتجار بين بلاد نجد والبلاد المجاورة المتصلة بالعالم الخارجي لا يتعارض مع سوء الأحوال الاقتصادية، لأن هذه المعاملات التجارية كانت محدودة، وكانت ضرورية لاستمرار عجلة الحياة في بلاد نجد، ثم إن مثل هذه القوافل تعود غالبًا إلى عدد من الرجال والبيوت الغنية من أهل نجد وهم موجودون في كل زمان لكن عددهم في مثل هذه الأحوال الصعبة يكون محدوداً.

وفي عام ٨٩٢هـ ظهر بصيص أمل فَرِح به أهل نجد عندما شهدت هذه السنة كثرة الأمطار والسيول، لكن ما مدى انتشار هذه الأمطار في البلاد النجدية، وما مدى أثرها على أحوال الناس الاقتصادية والمعيشية اليومية، وهل عوضت الناس عن سنوات الشدة الماضية؟. لا شك أن القارئ يريد الإجابة عن مثل تلك التساؤلات، لكن هيهات أن يحصل ذلك في ظل غياب المعلومات الدقيقة. وعلى الرغم من بارقة أمل يمكن أن تستشف من رواية قدوم قافلة للفضول إلى سدير، التي تدل على أن هناك بعض الأهالي والقبائل في بلاد نجد ما زالت تملك القوة الشرائية

رغم صعوبة الحالة الاقتصادية في بلاد نجد بصفة عامة. (١٣) لكن ما نستشفه من معلومات المصادر بصفة عامة تدل على أن الصورة كانت قاتمة، حيث بددت تلك البارقة من أمل عودة الحياة الخصبة في بلاد نجد إلى خصبها ونمائها، إذ نجد أن بركة الأمطار اختفت ليس فقط بسبب مصاحبة السيول الجارفة لتلك الأمطار وما سببته من أضرار للمساكن القديمة التي غالبًا ما يكون تشييدها بدائياً يتضرر بأقل العوامل الكونية، بل في ظل هجمة أسراب الجراد الذي يأكل كل ما أمامه من أزهار الشجيرات التي نمت في ظل بركة الأمطار السابق ذكرها، ثم ما أعقبه من ظهور الدبى الذي أكمل ما تركه الجراد. هذه الآفات الكونية لم تترك مجالاً للقول إن الأمطار التي هطلت في ذلك العام صاحبها الخصب والنماء. ومن هذه الصورة نجد ما ذكره البسام من معلومات- وهو المؤرخ الوحيد للأحوال الكونية في بلاد نجد لهذه الفترة- لا توحي بالفرحة من نزول تلك الأمطار بقوله: "في هذه السنة كثرت الأمطار والسيول وكثر الجراد وأعقبه دبى كثير أكل بعض الزروع والأشجار"(١٤)؛ ومما زاد الطين بلة أن بعض السنوات التالية شهدت حالة من الشدة تمثلت في نزول البَرَد في فصل الصيف من عام ٨٩٤هـ، وما تركه من آثار سلبية على المزارع المثمرة، ثم ما حصل من غلاء وقحط واضحين نتيجة قلة الأمطار في عامي ٨٩٦ و ٨٩٧هـ. لذلك يمكن أن نقول إن فترة العشرين سنة من عام ٨٧٨هـ حتى عام ٨٩٩هـ كانت في مجملها سنوات شدة وقسوة.

ومن خلال المعلومات المتوافرة، وبالاطلاع على الجدول الملحق بالدراسة يمكن ملاحظة أن هطول الأمطار التي تُنبت الزرع كانت، في تلك الفترة، تحصل في فترات متباعدة قد تصل إلى عدة سنوات. فبعد الأمطار التي هطلت في عام ٨٩٢هـ انحبست - بحسب ما لدينا من معلومات - حتى عام ٨٩٩هـ، حيث نزلت في هذا العام بكثرة، ليس هذا فحسب بل إن وقت نزولها كان مناسبًا عندما هطلت في الوسمي وهو عادة يكون مناسبًا لنمو النبات بإذن الله، وهو ما حصل في هذا العام من الخصب الذي عاشته بلاد نجد. وغني عن القول إن مثل هذا الخصب كان له تأثير

إيجابي على البلاد والعباد، لكن ذلك الخصب يبقى نسبياً، خاصة عندما تؤثر عليه العوامل السلبية التي حصلت في بعض السنوات من الآفات والحشرات أو غيرها من العوامل السلبية. ففي هذا العام وقع بَرَد أتلف زروعًا في الوشم والمحمل، وربما غيرهما من بلاد نجد، وفي عام ٩٠٦هـ كثر الجراد والدبى. (١٥)

وعلى الرغم من محدودية الخصب الذي ظهر نتيجة لنزول الأمطار السابقة، فقد مضت إحدى عشرة سنة دون ورود أخبار عن نزول الأمطار، كثيرة كانت أو قليلة، حتى إذا جاء عام ٩١٠هـ هطلت الأمطار والسيول في نجد، بل وتتابعت حتى آخر الصيف. (١٦) ورغم عدم ظهور آثار واضحة لهذه الأمطار عدا كثرة الخصب وهو - والله أعلم - بسبب نزول تلك الأمطار في الوسمي، لكن ذلك الخصب لا يعني نهاية المعاناة والشدة التي عاشها سكان نجد؛ لأنه لم تسجل أية إشارة لهطول الأمطار في السنوات التالية مما يعني عودة شظف العيش الملازم لأهل نجد نتيجة لقلة الأمطار التي تسببت في ندرة المراعي التي تنشّط الحياة الاقتصادية والمعيشية للسكان. ليس هذا فحسب؛ بل إن البلاد شهدت تسلط الجراد في عام ٩١٦هـ مما زاد الأمر سوءًا على أهل نجد.

وفي عام ٩١٧هـ رحم الله البلاد والعباد بنزول الأمطار والسيول في بلاد نجد في موسمها وتتابعها إلى آخر الصيف. (١٧) ورغم أنه لم يُذكر مكان معين للبلاد التي نعمت بهذا الغيث إلا أن عدم تخصيص بلاد معينة، بالإضافة إلى التعميم الذي ورد في رواية البسام بقوله "في نجد" يفهم منه أن الأمطار عامة على معظم بلاد نجد. ومما يدل على بركة هذا المطر انتشار الخصب في تلك البلاد حتى أن الكمأة كثرت في مناطق متعددة، وهي لا تظهر بالضرورة مع نزول الأمطار لكنها تظهر إذا وافق المطر موعد نباتها والله أعلم. ومما يدل أيضًا على النماء الذي أحدثه نزول الأمطار الغزيرة في موسمها في هذا العام، هو رخص الأسعار، وهي من دلائل الرخاء الذي نادرًا ما شهدته بلاد نجد. لكن الصورة تظل ناقصة بسبب عدم وجود إحصاءات تبين مدى رخص الأسعار ومقارنتها بغيرها من السنوات. ومهما

كانت الحالة الاقتصادية، ومهما أخصبت الأرض، ورخصت الأسعار في هذا العام؛ فإن أهل نجد كانوا على موعد مع القحط والشدة وشظف العيش بسبب عدم تتابع الأمطار، وما ينتج عنه عادة من الخصب في العام التالي أو الأعوام التالية له؛ بل إن الأمر كان أشد من توقع المتفائلين.

وبعد انقضاء مدة اثنتي عشرة سنة لم يورد المؤرخون أي ذكر لنزول الأمطار خلالها، فيما شهد عام ٩٣٠هـ انتعاش الحياة في بلاد نجد بعد طول غيبة حتى ليخيل للمرء أن عودة المطر بعد فترات الانقطاع المتكررة والطويلة إنما هو تذكير لأهل نجد بهذه النعمة التي يجب عليهم شكرها في السراء والضراء. وقد ورد ذكر هذه الأمطار بالوصف الغالب نفسه على روايات المؤرخين النجديين، وهو كثرة الأمطار في هذه السنة، وتتابعها في الصيف، واخضرار الأرض نتيجة لذلك، ورخص الأسعار بسبب كثرة المعروض من الإنتاج الرعوي والزراعي. ولعل وصف حالة البلاد النجدية بعبارة "حار الحاير" تدل على تحسن الأحوال الاقتصادية وهي تعني كثرة الأمطار مما أدى إلى رخص الأسعار، لكن ذلك يبقى وصفًا ناقصًا لعدم إيراد أمثلة للأسعار السائدة. (١٨) لكن هل استمرت فرحة الناس بهذا المطر والخصب ورخص الأسعار؟. الإجابة عن هذا التساؤل قد تكون مخيبة للآمال؛ لأننا لا نجد أخباراً عن نزول الأمطار خلال السنوات التالية لهذه السنة، بل إنه حصل أسوأ من ذلك، وهو استمرار الوضع القاسي نتيجة لعدم سقوط الأمطار حتى عام ٩٣٩هـ عندما غلبت الحياة القاسية على أهل نجد باشتداد القحط وغلاء الأسعار. ولم يقف الأمر عند ذلك؛ بل إن تلك السنة شهدت تسلط الجراد والدبى على المناطق الزراعية والرعوية لتأكل ما اخضر عوده وهزل ساقه. ثم أعقب ذلك مرور مدة تسع سنوات قل فيها المطر في كل البلاد النجدية.

ورغم نزول الأمطار والسيول في بلاد نجد في عام ٩٤١هـ في أول موسمها وتتابعها إلى آخر الصيف وخصوبة الأرض نتيجة لذلك، لكن ذلك لم يشف غليل سكان البلاد النجدية بسبب محدودية تأثيره الناتج عن ندرته؛ بل زاد من سوء

حالتهم نزول البَرَد في بعض المناطق، خاصة الوشم وسدير في عام ٩٥٣هـ مما زادهم شدة إلى شدتهم. وبعد ثلاث عشرة سنة لم تر فيها نجد أمطاراً تنبت الأرض وتدر الضرع، استبشر الناس في بلاد نجد خيراً في عام ٩٥٥هـ بعد أن هطلت الأمطار والسيول وانتشر الخصب وحار الحاير، لكن ذلك حصل في بعض البلاد النجدية، كما يفهم من بعض الروايات، مما يدل على محدودية انتشاره. (١٩)

ثم مضت أربع عشرة سنة لم يهنأ سكان البلاد النجدية خلالها بنزول الأمطار التي تبعث الحياة الرغيدة في مجتمعهم، وما نزل في عام ٩٧٠هـ من أمطار وما نتج عنها من خصب، يعدّ مؤقتًا باستقراء حوليات الأمطار في بلاد نجد كما يظهر ذلك من الجدول المرفق؛ لأنها لم تكن كافية ليسدد سكان نجد، من البادية والحاضرة، ما استدانوه من أموال وأطعمة لتغطية مصاعب الجفاف السابق على أمل أن تتغير أحوالهم باستمرار هطول الأمطار. (٢٠) حقًا إن الإنسان ليستغرب أشد الاستغراب كيف يستطيع شعب مثل سكان البلاد النجدية، عماد حياته- بعد الله- على نزول الأمطار، أن يعيش مثل هذه المدد الطويلة ينتظر هطول الأمطار التي إذا نزلت عامًا انحبست أعوامًا عديدة. ليس هذا فحسب؛ بل إن البلاد شهدت تأثير عوامل كونية أخرى مثل ما حصل في عام ٩٦٩هـ من القحط الذي عم البلاد بسبب قلة الأمطار وما نتج عنه من غلاء الأسعار مما دفع بعض السكان، وخاصة البادية، إلى جلب الميرة من بلاد بعيدة مثل البصرة. كما شهد ذلك العام - بإذن الله- برودة الطقس إلى درجة تجمد فيها الماء في صهاريجه، وأمات الزرع في سنبله، كما سيأتي تفصيله. ولا شك أن مثل هذه الآثار تعبر أحسن تعبير عن الاختلافات والتذبذبات في الطقس والمناخ في بلاد نجد إلى مدى لا يمكن تصوره إلا في ذهن من تكبد نتائجه القاسية، وهو إنسان هذه البلاد الذي لا حول له ولا قوة إلا بالله ثم بصبره انتظاراً للفرج من الله.

وإذا كنا خلال الصفحات السابقة نستغرب صبر سكان البلاد النجدية على قلة الأمطار لسنوات تربو على العشر، فكيف إذا وصل الأمر إلى ما يقرب من ثلاثين

سنة لم يسجل فيها هطول الأمطار المنبتة للزرع منذ عام ٩٧٠ حتى عام ٩٩٧هـ، حيث شهدت هذه السنة كثرة الأمطار والسيول. (٢١) ورغم هطول هذه الأمطار واستفادة جميع بلدان نجد منها إلا أن وقت نزولها في الصيف، وشحها في أول السنة أدى إلى محدودية عائدها الذي كان سكان نجد يؤملونه من الله ثم منها، خاصة بعد هذه المدة الطويلة من الانحباس. ليس هذا فحسب؛ بل إن مما زاد الطين بلة ما حصل في عام ٩٨٤هـ من انتشار الوباء في البلاد النجدية، وتسلط أسراب الجراد وما تبعه من الدبى الذي أضر بالزراعة المحدودة الرقعة أيّما ضرر كما سيأتي تفصيله في موضعه.

ثم تكررت فترات الجفاف المعهودة منذ عام ٩٩٧هـ حتى عام ١٠٠٨هـ. وفي عام ١٠٠٩هـ هطلت الأمطار بكثرة في الوسمي وتتابعت إلى آخر الصيف. (٢٢) ويبدو أن تأثيرها في هذه المرة كان إيجابياً بدليل رخص الأسعار في هذا العام كما ورد في روايات المؤرخين. ورغم أن هذه الروايات لم تورد أمثلة للأسعار السائدة كما هي العادة، إلا أن هذا الرخص كان بلا شك نتيجة للخصب الذي نتج عن هذه الأمطار.

وبعد إحدى عشرة سنة شهدت بلاد نجد في عام ١٠٢١هـ أمطاراً وسيولاً مباركة أحيت الأرض، وكانت سببًا - بإذن الله - في رخص الأسعار. وعلى الرغم من عدم معرفة مستوى أسعار المنتجات المحلية، أو على الأقل نماذج لأسعارها، لكي تكون شاهدًا على مدى الخصب الذي أصاب بلاد نجد، إلا أنه مهما كان تدني الأسعار ورخصها، ومهما بلغ فرح أهل نجد بنزول الأمطار، في هذا العام، إلا أن فرحتهم لم تتم بسبب وقوع الوباء في بعض بلاد نجد، خاصة بلاد العارض والخرج، الذي مات بإذن الله ثم بسببه عدد كبير من السكان لم يقدر عددهم، لكن ما ورد من عبارات في روايات المؤرخين مثل عبارة "خلائق كثيرة" توحي بشدة هذا الوباء. (٢٣)

ومع معاناة سكان البلاد النجدية من تباعد فرص هطول الأمطار إلى فترات

طويلة، وما تخلل تلك الفترات من آثار كونية قاسية إلا أن رحمة الله كانت أسرع لهم حيث عجل لهم الفرج. فبعد ثلاث سنوات، وتحديداً في عام ١٠٢٥هـ كثرت الأمطار والسيول في الموسم ثم تتابعت إلى آخر الصيف. (٢٤) ومع مؤشرات بأن يكون هذا العام تعويضًا لأهل نجد، خاصة نزول الأمطار في موسمها واستمرارها، إلا أن تسلط الجراد في هذا العام، وما أعقبه من دبى أضر كثيراً ببعض الزروع والأشجار، وأدى إلى نقص المحصول وضعفه في هذا العام. ولا شك أن انتشار الوباء في عام ١٠٢١هـ وتسلط الجراد والدبى في عام ١٠٢٥هـ أعاد بلاد نجد إلى ما اشتهرت به من قسوة العوامل الكونية رغم قصر فترات نزول الأمطار قياسًا على فترات سابقة.

وإذا كانت ظروف حياة السكان في بلاد نجد خلال أكثر من قرن ونصف من الزمان قد تأثرت سلبًا بتباعد فترات نزول الأمطار وما تجلبه من خصب، كما اتضح من خلال الروايات التي دونت أحوال السكان في بلاد نجد، وخاصة ما يتعلق بالعوامل الكونية خلال تلك الفترة، وكما يظهر جليّاً من خلال الجدول المرفق، فلم تتغير الحال كثيراً في الفترة الباقية من هذه الدراسة. فبعد مرور أربعة عشر عامًا من الجفاف، وما تخلله من قسوة العوامل الكونية كما حصل في عام ١٠٣٣هـ من نزول بَرَد كبير الحجم أضر بالمحاصيل الزراعية ضرراً بالغًا، خاصة في بلاد العارض والخرج؛ وشهد عام ١٠٣٩هـ أمطاراً كثيرة أروت الأرض فأخصبت بالنبات مما أدى إلى رخص الأسعار. ولم يورد ابن بشر، الذي ذكر خبر هذه الأمطار، أمثلة لمدى عموم هذه الأمطار وما نتج عنها من خصب. كما أنه لم يبين مستوى رخص الأسعار مقارنة ببلاد أخرى أو أزمنة سابقة. (٢٥)

ولعل من أشد الفترات على أهل نجد وأقساها تلك الفترة الممتدة بين عامي ١٠٣٩هـ و ١٠٧٢هـ، حيث مرّ على سكان تلك البلاد ثلاث وثلاثون سنة لم يذكر المؤرخون النجديون هطول أمطار تؤثر إيجابياً في الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بلاد نجد، بل استمرت الحال على سابق عهدها المتسم بالشدة. لقد زادت معاناة

السكان ليس فقط بمرور مثل هذه المدة الطويلة بدون أمطار، لكن أيضًا لأن ما ذكره المنقور في عام ١٠٧٢هـ لم يكن صريحًا بنزول الأمطار والخصب وإنما اكتفى بقوله: "وهي سنة ربيع الخر" (٢٦) مما يفهم منه كثرة الخصب. لكن رغم ذلك؛ فإن الفترة المشار إليها شهدت قسوة شديدة في الحياة، مثل القحط والغلاء والأمراض وتسلط الجراد والدبى وغيرها، كما يتضح من خلال الجدول المرفق. وسيأتي تفصيل هذه الأحداث، التي نال لظاها سكان البلاد النجدية، في مباحث أخرى من هذه الدراسة إن شاء الله.

ومن رحمة الله بعباده في بلاد نجد أن أنزل عليهم الأمطار في عام ١٠٧٩هـ، وكانت مصحوبة بالسيول التي أروت الأرض وأنبتت الزرع، وكان من نتيجتها رخص الأسعار. (٢٧) وقد كانت هذه الأمطار تعويضًا لهم عن سنوات الشدة المتمثلة بقلة الأمطار وحلول الجدب والقحط والغلاء في بلادهم في سنوات متعددة، وبالأخص ما ظهر من علامات قحط شديد بدأ في عام ١٠٧٦هـ سمي صلهام كما سنرى لاحقًا. (٢٨) وقد كانت فرحة أهل نجد بنزول الأمطار في عام ١٠٧٩هـ لا توصف حتى أنهم أعطوا لهذه السنة أسماء مميزة هي ريدان، ودلهام وغيرها من الأسماء، ووصفها ابن عيسى بقوله "دلهام رجعان صلهام". (٢٩)

وفي عام ١٠٨٦هـ أجمع المؤرخون النجديون لأول مرة على وصف ما حصل في هذه السنة من الأمطار الغزيرة، وكثرة العشب حتى أن أهل نجد أطلقوا على الربيع (اخضرار الأرض بالعشب) الذي حل في هذه السنة اسم ربيع الصحن. ورغم تيمن أهل نجد بهذا المطر والعشب الذي أسمن مواشيهم بعد طول هزال، حيث سمنت الإبل والمواشي ونعم أهل البلاد بالخيرات، إلا أن فرحتهم لم تدم حيث اشتد الحال بهم وعدمت الأقوات بسبب حلول بوادر قحط مشهور أسموه جرادان كما سيأتي تفصيله لاحقًا. (٣٠)

ومن خلال استقراء نصوص المصادر النجدية المعاصرة نلاحظ تغيرًا في العوامل الكونية المؤثرة على أحوال السكان في بلاد نجد إلى الأفضل خلال أواخر القرن

الحادي عشر الهجري، حيث قلت فترات الجفاف وأثر ذلك إيجابياً على توافر المواد الاستهلاكية المعيشية مع رخص أسعارها. ففي عام ١٠٨٨هـ كثرت الأمطار والسيول حتى آخر الصيف مما نتج عنها - بإذن الله- اخضرار الأرض ونبات الكلأ والعشب، وهو ما أدى بالتالي إلى رخص الأسعار كالعادة. بل إن ابن بشر كان أكثر دقة في وصف هذا الرخص في هذه السنة بقوله "وفيها أرخص الله الطعام، وكثر السيل" (٣١) لكن البسام وابن بشر لم يشيرا إلى مدى رخص الأسعار، أو نماذج للأسعار السائدة ومقارنتها بغيرها من السنوات. وفي العام التالي ١٠٨٩هـ أشارت المصادر إلى نوع من الخصب أدى إلى استمرار رخص الأسعار. فقد ذكر الفاخري "رخص الزاد". كما ذكر المنقور من دلائل الخصب والرخص أن هذه السنة سميت بما يدل على ذلك، عندما قال وهي سنة يكتالون من عندنا عنزة، أي إن أفراداً من قبيلة عنزة كانوا يأتون لاكتيال الحب، أي شراء الطعام، ثم أضاف وصفاً آخر لهذه السنة بقوله "رجعان الوقت" بمعنى عودة الرخاء والخصب. (٣٢) وعلى كل؛ فإن هذه الروايات لم تذكر صراحة هطول الأمطار في هذه السنة. ومع الرضا بقضاء الله وقدرته؛ فإن المتفائل من أهل نجد لا يجد ما يعوض سنوات القحط والشدة، خصوصاً مع ما ذكره المنقور من تسلط الدبى الكثير الذي أضر بالزراعة وكل ما اخضر من الأرض في هذا العام.

وبعد خمس سنوات، وتحديداً في عام ١٠٩٣هـ، شهدت بعض بلاد نجد هطول الأمطار بغزارة مثل بلدة البير، قاعدة إقليم المحمل القريبة من ثادق(٣٣)، وكذلك بلدة رغبة. ولتميز هذه السنة عن السنوات السابقة لها، ذكر ابن ربيعة أنها سميت "سنة البياض" (٣٤) ويبدو أن هطول الأمطار استمر متتابعاً حتى ولو لم يذكره المؤرخون النجديون، ففي النصوص التي أوردوها في ذكر ما حصل في هذه الفترة من أسباب الرزق علامات تدل على هذا الاستنتاج. ورغم أن سنة ١٠٩٦هـ شهدت غلاء الأسعار الذي عبر عنه الفاخري والمنقور بعبارة "انكسر الزاد" والمقصود به الطعام، إلا أن ذلك لم يستمر. ولم يذكر المؤرخون النجديون سبباً

واضحًا لهذا الغلاء، لكن يبدو أنه لم يكن شاملاً لبلاد كثيرة، كما أنه لم يستمر طويلاً بدليل أن بعض المؤرخين النجديين ذكروا صراحة حصول الرخص في هذه السنة. فبينما اقتصر المنقور على ذكر الغلاء بقوله: "وانكسر الزاد قريب الوزنة" (٣٥) نجد المؤرخين الآخرين يؤكدون في رواياتهم تبدل الحال في البلاد من الغلاء إلى الرخص. يقول الفاخري في هذا المجال: "وفيها انكسر الزاد قريب الوزنة بمحمدية"، ثم يضيف "وفيها رخص الزاد وكثر الفقع". (٣٦) أما ابن بشر فقد كانت عباراته عن الغلاء صريحة عندما قال عن هذه السنة: "وفيها غلا الطعام من الحنطة وغيرها، وصارت الوزنة بمحمدية والصاع بثلاث"، لكنه أردف في نهاية العبارة بقوله: "ولم يستمر"، مما يدل على أن فترة الغلاء كانت محدودة حيث أعقبها رخص الأسعار". أما رواية ابن عيسى فقد كانت صريحة في ذكر هطول الأمطار بكثرة، وما نتج عنها من الخصب والرخص بقوله: "وفيها كثرت الأمطار والسيول، ورخصت الأسعار". (٣٧) وهكذا ومن خلال الروايات التي ذكرناها؛ فإن الفاخري وابن بشر ذكرا حصول غلاء، لكنه لم يستمر بل تبعه الرخص، بينما اقتصرت رواية المنقور على حصول الغلاء. أما ابن ربيعة فقد اقتصرت روايته على ذكر رخص الزاد. ومهما كانت الأحوال في هذه السنة والتي تلتها، فإن أهل نجد لم يسلموا من المنغصات التي قدرها الله عليهم. ففي عام ١٠٩٨هـ شهدت بعض بلاد نجد عوامل كونية كان لها تأثير في المناطق التي ظهرت فيها مثل الرياح التي اقتلعت ألف نخلة في الحوطة، وكذلك المرض الذي ظهر في العارض، وسنتطرق إلى تفصيلات هذه العوامل وغيرها في مباحثها إن شاء الله.

ورغم ما ظهر من مكدرات في حياة سكان هذه البلاد إلا أن رحمة الله كانت تظللهم كلما اشتدت بهم الحال. ففي عام ١٠٩٩هـ، شهدت بلاد نجد رخاء لم يسبق له مثيل. ولعل ما ذكره المؤرخون النجديون عن طبيعة هذا الرخاء والأوصاف التي ذكروها تعدُّ أكثر دقة وتفصيلاً مما ورد عن الأحداث الكونية في بلاد نجد خلال المئتين والخمسين سنة، أي منذ بداية فترة هذه الدراسة. فقد ذكر كل من الفاخري

وابن بشر وصفًا دقيقًا لطبيعة هذا الرخاء وأمثلة لرخص الأسعار السائدة في أكثر من منطقة . ولأهمية مثل هذه الروايات ولغزارة المعلومات التي احتوتها قياسًا على ما سبق نورد بعض النصوص التي أوردها المؤرخون النجديون . يقول الفاخري عن هذه السنة : "كثر العشب والفقع والجراد، ورخص الزاد حتى بلغ التمر عشرين وزنة بمحمدية، والحب خمسة أصوع، وهذا في سدير، وبيع في الدرعية ألف وزنة بأحمر" . (٣٨) وبالمعاني نفسها واختلاف الألفاظ ذكر ابن بشر الرخاء في هذه السنة . أما المنقور فقد ذكر باختصار ما شهدته هذه السنة من الرخاء بقوله "كثر فيها الجراد والفقع والعشب" . وقد أوضح البسام وابن عيسى المقصود بالحب بأنه الحنطة الذي بيع بسعر خمسة أصوع بمحمدية . (٣٩) ومما يلاحظ على هذه النصوص أنها أوردت كثرة الجراد بوصفها حالة إيجابية وأنّ ظهورها يكثر عادة في زمن الأمطار والخصب . ويدل على هذا الرأي أن ذكر الجراد في هذه السنة لم يصحب، كالعادة، بأوصاف التخريب للمزروعات والعشب مما يدل على أن المقصود منه التدليل على رخاء هذه السنة . والملاحظة الثانية على هذه النصوص هو ما ورد من اختلاف كبير جداً في الفرق بين أسعار التمر في كل من الدرعية وسدير، حيث بيع في الأولى ألف وزنة بأحمر، بينما كان سعره في بلاد سدير عشرين وزنة بمحمدية . ويزداد الفرق في السعر أيضًا بزيادة الفرق بين قيمة عملتي الأحمر والمحمدية كما ورد في الهامش . والغريب أن هذه الأسعار وردت في روايات المؤرخين النجديين الذين ذكروا هذه الأسعار، لكن أيًا منهم لم يعلق عليها أو يبين سببًا لهذا الاختلاف الكبير . وأخيرًا فقد كانت هذه السنة مجالاً خصبًا لخيال الشعراء والأدباء والمؤرخين الذي تسابقوا في وصف هذه السنة . ومن هؤلاء عبدالله بن علي بن سعدون وهو حينذاك في الدرعية الذي أرخ لهذه السنة، وما حصل فيها من الخيرات مبتدئًا بشكر الله المنعم في قصيدته التي ذكرها كل من الفاخري وابن بشر(٤٠) حيث يقول :

بحـــــمـــــد الله والشكر نعج

لســـــــحب تثج وأرض تمج

وتمر ثلاثة أصـــــواعـــــه
بدفـع المـحلق فـــيـــهـــا نزج
وبرّ فـــحـــرف بوســـقـــينـــه
وتاريخــه ذا كــســـاد يشج

وعلى العكس من نهاية القرن السابق له، شهد الربع الأول من القرن الثاني عشر الهجري قسوة في الحياة في بلاد نجد تمثلت في أنواع من العوامل الكونية تأثرت بها غالب بلاد نجد مثل القحط الذي نتج عنه الغلاء، والأوبئة والسيول الجارفة والبَرْد والبَرَد وتسلط الجراد والدبى؛ كما سيأتي تفصيله في مباحثه إن شاء الله.

ورغم ما شهدته السنة الأولى من هذا القرن من بعض الدلائل على وجود نوع من تحسن الأحوال المعيشية في بلاد نجد، إلا أن الصفة العامة للحياة في بلاد نجد تبدو قاسية. فقد ذكر ابن بشر نزول المطر في عام ١١٠٠هـ لكنه أورده بأوصاف تدل على محدودية آثاره الإيجابية عندما قال "وفي هذه السنة نزل مطر دقيق وبَرْد شديد وجمد المطر فوق أعشاب النخيل وغيرها" (٤١) بل إنه كان أكثر تحديدًا في وصف الشدة في هذا العام بقوله "وغلا الطعام". بينما وصف المنقور هذه السنة بعبارة "وانكسر الزاد عندنا" (٤٢) وكما ذكرنا سابقًا؛ فإن هطول الأمطار على شكل سيول تعدّ عوامل سلبية أكثر منها إيجابية كما حصل في عام ١١٠٦هـ عندما أصاب بلدة حريملاء سيل أغرق منازلها في الصيف. وبلغ من شدة هذا المطر أن السيل حمل الخشب إلى بلدة ملهم، كما حمل جدران المباني في بعض البلدان، وقد بلغ الأمر من الشدة على أهل البلاد حتى أسموا هذه السنة زمامة. وفي السنة نفسها ظهرت في سماء بلاد العارض سحابة سميت "ظلما" لكثرة ما تحمله من ماء. (٤٣) وبعد عشر سنوات، وبينما كان الناس ينتظرون المطر بفارغ الصبر أنزل الله عليهم سيلاً خرب منازل العيينة حتى أن المنقور وصفها بأنها سنة شديدة حيث ذكر في روايته بعد حديثه عن هذا السيل قوله: "وهي شديدة سمدان" (٤٤).

ولا يشفع لهذه الفترة ما ذكره بعض المؤرخين النجديين من بعض الإشارات على تحسن طفيف في الأحوال المعيشية لسكان البلاد النجدية مثل ما ذكره المنقور في عام ١١١١هـ من أن أهل العيينة نقلوا الطعام من سدير؛ لأن ذلك يعني أن بلدة العيينة قل فيها الطعام إلى درجة جلب أهلها حاجتهم منه من سدير. كما ذكر في عام ١١١٢هـ قوله "وكَيْل آل سويط كثر عليهم". وكذلك قوله وفي عام ١١١٥هـ "جونا بني حسين آخر القيض. وكسروا الزاد، ورخص البعير" وما ذكره أيضًا في عام ١١٢١هـ بقوله: "وجادت الثمرة". (٤٥) ويبدو أن انتشار المرض في السنة الأخيرة أشغل الناس عن بوادر التغير بنزول المطر الذي بدأ يروي جفاف بلادهم.

ومن التناقضات المناخية التي تحصل في البيئة الصحراوية بشكل غير نادر ما شهدته بلاد نجد عام ١١٢٣هـ. فقد شهدت هذه البلاد في أول السنة سيلاً مغرقًا هدم البيوت والمساجد، حيث أغرق بلدة حريملاء، وقد صاحبه بَرْد أهلك من الأشجار والزروع ما اخضر عوده واستوى سنبله، أما ما سلم منه فقد أكله الجراد. وفي آخر هذه السنة نزل مطر وَسْمي سقا الأرض وأنبت العشب بإذن الله وكان بركة على أهل نجد، حيث عوضهم الله بصلاح الزروع وحصول البركة فيها مما نتج عنه رخص الأسعار حتى أن محصول الغرب الواحد، وهو عادة وعاء للماء الذي ينضح من الآبار بواسطة السواني، وصل إلى ألفي صاع في بلدة ضرما. وفي النص الذي أورده ابن بشر ما يعبر عن هذا التناقض أصدق تعبير حيث يقول: "وفيها أنزل الله سيلاً وسمياً أغرق منزلتهم، وهدم البيوت والمساجد، وأوقع الله بَرْدًا أهلك من الزرع ما كان في سنبله. ثم أنزل الله في الصيف غيثًا أعظم من الأول، وأصلح الله الزرع، وحصلت بركة عظيمة، وقيل إن محصول الغرب في بلد ضرما أكثر من ألفي صاع، وأرخص الله الأسعار" (٤٦) وبمثل ذلك وصف الفاخري ما حصل لأهل نجد في هذه السنة. أما المنقور فقد أضاف من أحداث هذه السنة تسلط الجراد والخيفان الذي أضر بالمزروعات بشكل كبير، كما أنه حدد زمن هطول الأمطار الموسمية بوقوعها في أول شهر شوال. ويكتفي ابن عيسى بوصف هذا العام بكثرة

الأمطار والسيول في الوسمي. (٤٧)

ويتضح من خلال نصوص المصادر النجدية أن سنة ١١٢٥هـ كانت سنة خير وبركة على أهل نجد. فقد ذكر المؤرخون النجديون هطول الأمطار بكثرة أنبتت العشب وأدرت الضرع مما نتج عنه رخص الأسعار. وقد فصّل هؤلاء المؤرخون عن المواد التي انخفض سعرها مثل المواشي التي تجلب إلى السوق والحبوب والتمر والسمن وغيرها. وفي حالة تعدّ نادرة، ذكر المؤرخون النجديون بعض الأرقام عن أسعار بعض المواشي وخاصة الفاطر(٤٨) التي تراوح سعرها بين خمس محمديات لأقل سعر وأربعين لأعلاها، بينما بيعت الركائب، وهي الجمال التي تستخدم للركوب، ثمانين جديدة(٤٩) أما السمن، الذي تجلبه عادة قوافل البادية، فقد بلغ سعره عشرة أصوع بأحمر. أما سعر التمر فقد انخفض سعره حتى بلغ مئة(٥٠) وزنة بأحمر. لكن هذا الانخفاض سرعان ما تراجع بسبب قدوم القوافل من عنزة، حيث يبيعون البضائع التي يجلبونها عادة مثل السمن والأقط وغيرها، ثم يشترون بثمنها التمر، مما أدى إلى ارتفاع سعره حتى بلغ خمسين وزنة بأحمر عند رحيلهم. (٥١)

ورغم ذكر المؤرخين النجديين هطول أمطار على بلاد نجد في عام ١١٣١هـ إلا أنها كانت أمطاراً شديدة مصحوبة بسيول جارفة تهدمت بإذن الله ثم بسببها بيوت كثيرة في حريملاء وثادق. ومن أجل ذلك لا يعد أهل نجد هذه السنة من سنوات الرخاء الذي ينتج عادة عن الأمطار، ولم يذكر المؤرخون النجديون في هذه السنة أية إشارة إلى الخصوبة أو رخص الأسعار أو ما شابهها من دلائل الرخاء. ورغم وصف ابن ربيعة لسنة ١١٣٢هـ بأنها "سنة الخباري" جمع خبراء وهي الرياض التي تتشكل بعد هطول الأمطار بغزارة، إلا أن هذه السنة، وربما التي قبلها - على رواية البسام غير المؤكدة - شهدت انتشار مرض الطاعون(٥٢) في بلاد العراق، الذي مات بإذن الله ثم بسببه عدد كبير من سكانه، فإذا كان ما يجري في بلاد العراق، وخاصة جنوبه، يتأثر به سكان بلاد نجد سلبًا أو إيجابًا لقربها واتصال سكانها،

عرفنا أن هذه السنة كانت شديدة على أهل نجد رغم هطول الأمطار خلالها. (٥٣)

وفي عام ١١٣٣هـ تحسنت الأحوال نسبيّاً بهطول الأمطار واستمرارها إلى آخر الصيف مما نتج عنها رخص الأسعار. والدليل على مدى هذا الخصب والرخص ما ذكره المؤرخون من كثرة الكمأة، وهي عادة لا تنبت بكثرة إلا من غزارة الأمطار في موسمها بإذن الله. ومن الأمثلة الدالة على الرخاء الذي شهدته هذه السنة رخص الأسعار، حيث بلغ سعر التمر مئة وعشرين وزنة والحب خمسة وأربعين صاعًا بأحمر، لكن ابن عيسى يذكر أن سعر الحنطة بلغ خمسة وعشرين وزنة بأحمر، ولعل هذا الاختلاف حصل بسبب اختلاف جودة النوع، أو بسبب اختلاف البلدان. (٥٤) وتتشابه هذه السنة، من حيث توافر الأقوات ورخص الأسعار السائدة، مع سنة ١١٢٥هـ، لكن السنة التي نحن بصددها تختلف عن تلك بأنها لا توصف بأنها سنة رخاء بمعنى الكلمة رغم ما ذكر من هطول الأمطار والخصب والرخص، والسبب أن هذه السنة تأثرت بعوامل كونية أخرى قللت من بركة الأمطار فيها، ومنها حصول الجوع لدى الناس وضعف المواشي، والبرد الذي أصاب الناس والدواب وأضر بمحاصيلهم وأنفسهم، بل إن ما سلم منه أكله الجراد.

وبعد قسوة في الحياة عاشتها بلاد نجد في السنوات من ١١٣٤ حتى ١١٣٦هـ - كما سيأتي تفصيله لاحقًا - شهدت السنوات من ١١٣٧ حتى ١١٤٠هـ رخاء في الأرزاق، حيث هطلت الأمطار بكثرة في الوسمي واستمرت في عام ١١٣٨هـ حتى آخر الصيف، ونتج عنها خصوبة الأرض في أنحاء بلاد نجد كما وصفه ابن ربيعة بقوله: "وكثرت السيول وخار الخير في كل موطن" (٥٥) والمقصود كثر الخير وهو الخصب، ومن دلائل الخصب في سنة ١١٣٨هـ ظهور الكمأة ورخص الأسعار. ومما يدل على استمرار الرخاء وتوافر المواد الغذائية في بلاد نجد في عام ١١٤٠هـ ما ذكره ابن ربيعة أن قبيلة عنزة جاءت إلى نجد لشراء العيش، كما وصف البسام هذه السنة بأنها "من أرخى السنين لكثرة الأمطار" أما الأسعار فقد شهدت سنة ١١٣٩هـ رخصًا في التمر يماثل ما حصل في عام ١١٢٥هـ عندما بيع مئة وزنة

بأحمر، والتمر بيع بسعر يتراوح بين ٤-٦ أصوع بمحمدية. (٥٦) ويبدو أن الرخاء كان شاملاً لمناطق كبيرة من شبه الجزيرة العربية، فقد ذكر البسام أن سنة ١١٤٠هـ كانت من أرخى السنين لكثرة الأمطار فيها. وقد روي عن العلامة الرضى في تاريخه إحصاء عن مستوى الأسعار في الطائف، حيث تراوح سعر البر بين أربع ديوانيات ونصف وخمس ديوانيات للكيلة الواحدة وأفضله بلغ سعره سبع ديوانيات، كما بلغ سعر الشعير ديوانيتين ونصف، والعسل أربع ديوانيات للرطل، وبلغ سعر التمر ديوانين ونصف، والزبيب النعماني أربع ديوانيات، أما الفواكه فهي كثيرة ورخيصة. أما سعر صرف العملات فقد بلغت كالتالي: القرش بأربعين ديوانيّاً، والأحمر بقرشين، والمشخصي بأربعة قروش، والريال بقرشين. (٥٧) ومع أن البسام لم يذكر الأسعار في بلاد نجد، إلا أن ما ذُكر من أن الأسعار كانت رخيصة في عموم بلاد الجزيرة العربية في هذه السنة توحي بأن بلاد نجد قد شملها هذا الرخص في الأسعار حتى ولو لم تذكر بلاد نجد بالتعيين، أو لم تذكر نماذج من الأسعار السائدة فيها. لكن هل سلم أهل نجد خلال هذه السنوات من المنغصات؟. الجواب عن هذا التساؤل سطّرته روايات المؤرخين النجديين الذين سجلوا ما شهدته هذه البلاد من تبدل في تأثير العوامل الكونية. ومن الدلائل على هذا التحول ما ذكره ابن بشر من أن قبيلة عنزة التي اكتالت في عام ١١٤٠هـ من نجد صدرت في العام التالي ١١٤١هـ إلى الأحساء ليكتالوا منه، مما يفهم منه أنهم لم يجدوا بغيتهم في بلاد نجد. (٥٨) كما ذكر ابن ربيعة أن الطيار اكتال من الأحساء. (٥٩) ولذلك شهدت السنوات المشار إليها، بالإضافة إلى الرخاء والخصب المحدود قسوة في الحياة في بلاد نجد، ومعاناة أهلها من تأثير العوامل الكونية المختلفة مثل القحط العظيم الذي حلّ في بلاد نجد في عام ١١٣٦هـ، والغلاء والجوع والبَرْد والجراد والدبى في عام ١١٣٧هـ، والوباء الذي شهدته بلدة العيينة عام ١١٣٨هـ، والمرض الذي انتشر في عام ١١٣٩هـ. ومثل هذه القسوة شهدتها بلاد نجد خلال الفترة من ١١٤١-١١٤٩هـ. وقد تمثل ذلك في البَرْد في عام ١١٤٣هـ، والقحط في عام

١١٤٦هـ، والجراد والدبى في عامي ١١٤٧ و ١١٤٨هـ وسيأتي تفصيل هذه العوامل لاحقًا إن شاء الله.

وعلى العكس من السنوات السابقة، شهدت بلاد نجد في سنة ١١٥٠هـ كثرة الأمطار والسيول في الوسمي، ثم تتابع نزول المطر حتى آخر الصيف. وقد كانت هذه السنة سنة رخاء على أهل نجد تمثلت في الخصب الذي وصف بعبارة "حار الحاير في بعض البلدان". ومن علامات الرخاء في هذه السنة كثرة الكمأة ورخص الأسعار، لكن الصورة تبقى ناقصة بسبب عدم ذكر المؤرخين النجديين أمثلة للأسعار السائدة في تلك السنة أو مقارنتها بسنوات أو فترات سابقة. (٦٠)

وبعد فترة صمت، من جانب المؤرخين النجديين، عن الحديث عن أي نوع من المؤثرات الكونية على بلاد نجد في السنوات من ١١٥١ حتى ١١٥٣هـ، ورغم حصول قحط وغلاء في عام ١١٥٤هـ المسمى قرادان - كما سيأتي تفصيله لاحقًا - إلا أن سنة ١١٥٥هـ كانت سنة مباركة نزلت فيها الأمطار وكثر الخصب وقلّت - بإذن الله - آثار القحط والغلاء الذي حلّ في العام السابق. وقد أجمع كل من الفاخري وابن بشر والبسام على وصف هذه السنة بنعوت متفائلة. ورغم ما ذكره الفاخري من تضرر بلاد الخرج من آثار السيل في هذا العام، إلا أن الوصف العام لهذه السنة، الذي ذكره المؤرخون النجديون، كان إيجابيًا حيث ذكروا كثرة الأمطار التي أحيت - بإذن الله - البلاد وأخصبت الأرض، وعمّ الخصب والرخاء جميع بلاد نجد حتى أن بعض بلاد نجد عاشت قريبًا من شهر في ظل الأمطار ولم تطلع عليها الشمس رحمة من الله. ولشكر الله على نعمه سمى أهل نجد هذه السنة "سنة الخيرات" التي من دلائلها كثرة الكمأة ورخص الأسعار. (٦١)

ثانيًا- العوامل السلبية:

إذا كان ما سطّر في الصفحات السابقة هي الصورة الإيجابية المشرقة في أحوال البلاد النجدية خلال فترة الدراسة، رغم ما فيها من سنوات شدة تخللت أو أعقبت

سنوات الرخاء؛ فإن السنوات التالية ستبين بجلاء حقيقة ما كان يعيشه سكان البلاد النجدية من شدة وقسوة تمثلت في القحط والجدب، والبَرَد والبَرْد، والرياح والعواصف، والجراد والدبى، والأمراض والأوبئة. كل هذه العوامل حلت في بلاد نجد مجتمعة أو متفرقة مما جعل بعضًا من السكان في هذه البلاد يلجأون إلى الارتحال إلى مناطق أو بلاد أكثر خصوبة وأحسن حالاً، لا حبًا في الارتحال ولكن كما يقال مكره أخاك لا بطل. ومن بقي منهم، كان مقامهم لظروف معينة لعل أهمها حبهم لهذه الأرض، وما يؤملونه من تغير الأحوال كما كان يحصل بين فينة وأخرى بإذن الله. ومن خلال العرض السابق للعوامل الكونية الإيجابية التي شهدتها بلاد نجد خلال فترة الدراسة والمتمثلة بهطول الأمطار وما نتج عنها من خصب ورخاء ورخص في الأسعار، فإن العوامل السلبية لم تغب عن مسرح الحياة خلال الفترات الإيجابية كما أوضحنا ذلك سابقًا. ولمزيد من التركيز والتحليل؛ فإن من الأفضل، كما فصلنا في العوامل الإيجابية وأشرنا بتلميحات إلى العوامل السلبية، فسنسير على النهج نفسه في التفصيل والتحليل للعوامل الكونية السلبية واحدة تلو الأخرى مع الإشارة إلى ما تخلل فترات العوامل السلبية من عوامل إيجابية، أو عوامل سلبية أخرى مثل الجدب والغلاء والأمراض والأوبئة والرياح والبَرَد والبَرْد وغيرها من الآثار المصاحبة. والهدف من ذلك هو إيراد صورة متكاملة للعوامل الكونية بحسب نوعها مع التركيز على عامل واحد، وإيراد ما أثّر عليه من العوامل الأخرى.

الجدب والغلاء:

من نافلة القول إن القحط والجدب والغلاء هو الصورة المضادة لحالة الرخاء والخصب والرخص، ومن النادر أن يجتمعا في سنة واحدة. ولا شك أن الجدب والقحط والغلاء يأتي في مرتبة متساوية مع الخصب والرخص في اهتمام المؤرخين وذلك لأن كلا العاملين له آثار كبيرة وشديدة على أهل البلاد النجدية إما إيجابًا أو

سلبًا، ولهذا كان تركيز المؤرخين عليهما في كل سنة تظهر آثارهما. ومن هذا المنطلق فإن إيراده في هذا المقام يأتي من هذه الأهمية.

ومع أن السبب المباشر والظاهر عادة لحصول الجدب والقحط وما ينتج عنه من الغلاء هو قلة الأمطار، لكن ما حصل في سنتي ٨٥٧ و ٨٦٥هـ من جدب وغلاء لم يعده البسام- وهو المؤرخ النجدي الذي دون تاريخ هذه الفترة- من أسباب قلة الأمطار كما سيتبين في حديثه القادم عن أسباب القحط والغلاء، وإنما ذكر أنه حصل في هذين العامين بإذن الله ثم بسبب كثرة الجراد والخيفان وما أعقبه من ظهور الدبى وتسلطه على الزروع والأشجار. (٦٢) لكن ذلك لا يتعارض مع كون السبب هو شح المطر في هذين العامين، حيث لم يذكر المؤرخون هطول الأمطار خلالهما مما يعني ضمنًا عدّهما سنتي جدب وقحط. ومما يلاحظ على الروايات التي تحدثت عن هذا القحط عمومًا هو عدم ذكر سبب القحط والجدب والغلاء في كثير من السنوات وإنما ذُكر مجردًا، مما يحتمل معه أن يكون سببه معروفًا وهو قلة المطر. وعلى العموم؛ فإن هذه الرواية لم توضح بشيء من التفصيل طبيعة هذا القحط ومدى تأثيره على السكان، أو عن مدى ارتفاع الأسعار الناتج عن القحط.

وكما حصل، عند حديثنا عن العوامل الإيجابية من الخصب والرخاء والرخص، من انقضاء فترات زمنية لم يذكر المؤرخون النجديون فيها شيئًا من العوامل الكونية، حصل الشيء نفسه في العوامل الكونية السلبية، حيث مرّت فترة ثماني سنوات بين العامين المذكورين لم يحصل خلالهما ذكر للجدب أو الغلاء، لكن الملاحظ أن بلاد نجد شهدت في سنة ٨٦٥هـ، والسنوات التالية لها، ظهور الأمراض في البادية والحاضرة - كما سيأتي تفصيله لاحقًا - مما أضاف شدة على ما كان يلاقيه سكان بلاد نجد في تلك الفترة من القحط والجدب.

وتحت عنوان ظاهر أفرد البسام حديثًا عن القحط والغلاء في نجد في عام ٨٦٨هـ مما يدل على أهميته. ومن خلال هذه الرواية نلاحظ مدى شدة هذا القحط والآثار المترتبة عليه من غلاء الأسعار. ومن هذه الآثار أن هذا القحط عامٌّ في بلاد

نجد، ولم يكن مخصوصًا ببلد معين، كما جرت العادة في بعض الآثار الكونية. كما أن شدة هذا القحط وما ترتب عليه من الغلاء دفع بكثير من الناس إلى الارتحال إلى بلاد أخرى مثل الأحساء. ومن غير شك؛ فإن الناس عادة لا يتعجلون الرحيل من بلادهم إلا إذا بلغ السيل الزبى، كما يقول المثل، ويصبح الناس عاجزين عن العيش في مثل هذه الظروف. لكن لا يعني ذلك رحيل جميع الناس لأن بعضهم يكون تعلقه بأرضه أكبر من أي ظرف فيتحمل قسوة الحياة ومر العيش على أمل الفرج من الله. ومما يبين مدى الشدة في هذا العام أن كثيرًا من الناس ماتوا جوعًا من شدة القحط، وهذه الحالة من الأمور النادرة. وعلى العموم، فقد استمر هذا الجدب والقحط والغلاء؛ بل إن الشدة والقسوة زادت على أهل نجد في عام ٨٦٩هـ، حيث استمرت هذه الحال القاسية حتى سنة ٨٧٠هـ. ومع أن الأسباب قد تبدو متعددة في مثل هذه الحالة، إلا أن بعض المؤرخين يؤكدون أن السبب قلة الأمطار في هذا العام بالذات. (٦٣) وقد زاد الأمر سوءًا في هذا العام تفشي الوباء في بلاد نجد في البادية والحاضرة، كما سيأتي تفصيله لاحقًا عند الحديث عن موضوع الأوبئة والأمراض في بلاد نجد. وبسبب القحط والجدب وغلاء الأسعار اضطر كثير من الناس إلى الارتحال إلى مناطق أكثر رخاء وأهنأ بالاً مثل بلاد الأحساء والزبير والبصرة، كما حصل في العام السابق.

وكما يلاحظ من الجدول المرفق، مضى حوالي ست وعشرين سنة لم يرد، في روايات المؤرخين، ذكر لحصول القحط أو الغلاء في بلاد نجد. ومن خلال نظرة عامة للعوامل الكونية مجتمعة، نرى أنه خلال تلك الفترة حصلت بعض العوامل الإيجابية والسلبية على حدٍّ سواء لكنها لم تكن واضحة التأثير. فقد حصل خصب في عامي ٨٧٨ و ٨٧٩هـ، كما تسلط الجراد والدبى، وظهر البَرْد والبَرَد في عامي ٨٨٣ و ٨٨٥هـ، ثم حصل كلا العاملين الإيجابي والسلبي مجتمعين في عام ٨٩٢هـ. وفي عامي ٨٩٦ و ٨٩٧هـ وقع الغلاء واشتد القحط بسبب قلة الأمطار لكن لم ترد تفصيلات عن طبيعة هذا القحط، ومدى تأثر الناس به كما حصل فيما

مضى. (٦٤) وفي الوقت نفسه لم ترد نماذج للأسعار السائدة في هذين العامين مما يوحي بأن الوضع لم يخرج عن المألوف من القسوة والشدة التي عاشها الناس خلال هذه الفترة تحت ظل العوامل الكونية السلبية في بلادهم.

ثم مضى أكثر من أربعين عامًا لم يرد، في المصادر النجدية المعاصرة، خلالها ذكر للقحط والجدب والغلاء بصورته الشديدة التي تضطر الناس إلى البحث عن بلاد أكثر أمنًا وأرغد عيشًا. وعندما حلّ عام ٩٣٩هـ شهدت بلاد نجد قحطًا عامًا أثّر على أحوال الناس المعيشية، حيث غلت الأسعار مما كان له تأثير مباشر على أحوالهم الاقتصادية. وقد دفع ذلك بالكثير منهم إلى الارتحال إلى بلاد الأحساء والبصرة لجلب الأقوات اللازمة لحياتهم، لكن بعضهم فضّل الإقامة هناك. وقد استمر القحط والغلاء في العام التالي أيضًا، حيث شهدت بعض بلاد نجد في عام ٩٤٠هـ شدة ناتجة عن القحط والجفاف. (٦٥) ورغم عدم معرفتنا بطبيعة هذا الغلاء والقحط، ومدى ما وصل إليه غلاء الأسعار، إلا أن انحباس المطر كان بلا شك أحد العوامل المسببة لهذا القحط وما نتج عنه من غلاء. وعلى العموم؛ فإن مرور هذه الفترة الطويلة نسبيًا دون ذكر القحط، لا يعني عدم حدوث الجفاف والقحط، وإنما توحي بأن ما حصل في هذه السنة بالذات من تأثير على حياة الناس، بسبب الشدة الناتجة عن القحط، كان كبيرًا استوجب إفراده بحديث خاص. وعلى العموم، فقد تخللت فترة الأربعين عامًا المذكورة حدوث حالات من العوامل الإيجابية تمثلت في الخصب والنماء في بعض السنوات، وفي المقابل حصلت بعض الآثار السلبية مثل تسلط الجراد والدبى كما مر معنا سابقًا وكما سنبينه في مباحث تالية إن شاء الله.

ورغم مضي تسعة وعشرين عامًا، كانت فترة عادية لم يحصل فيها عوامل كونية واضحة التأثير عدا ما حصل في عام ٩٥٣هـ من نزول البَرَد -كما سيأتي تفصيله- وحصول أمطار وخصب في عامي ٩٤١ و ٩٥٥هـ- كما مر معنا سابقًا- لكن المؤرخين لم يذكروا حدوث الجدب والقحط والغلاء خلال هذه الفترة.

والواقع أن أهل نجد لم يسلموا خلال عام ٩٦٩هـ بالذات من المنغصات على حياتهم، حيث كانوا على موعد مع شدة عظيمة تمثلت في الجدب الناتج عن قلة الأمطار مما أثر على مستوى الأسعار، حيث ارتفعت بشكل كبير كما ذكره المؤرخون النجديون الذين أرخوا لهذه الفترة، لكن الصورة تبقى ناقصة لعدم إيرادهم أرقامًا تبين مستوى هذا الغلاء. والواقع أن هناك أدلة على مدى احتياج الناس للحاجات الضرورية، منها ما ذُكر أن قوافل القبائل، مثل عنزة، اتجهت إلى البصرة لجلب الميرة، وخاصة الطعام. ومما زاد من معاناة أهل نجد أن القافلة المذكورة تعرضت للسطو بالقرب من حفر الباطن، الأمر الذي نتج عنه مقتلة بين أصحاب القافلة والمهاجمين. ليس هذا فحسب؛ بل إن هذه السنة شهدت بَرَدًا عظيمًا أدى إلى تجمد الماء في الصهاريج كما سيأتي تفصيله في موضعه. وقد أثر هذا البرد على الزراعة، حيث ماتت أغلب الأشجار والزروع المثمرة مما جعل هذه السنة تعد من سنوات الشدة على أهل نجد.

ورغم هطول أمطار أخصبت الأرض - بإذن الله - في عام ٩٧٠هـ وأمطار قليلة في أعوام ٩٩٧و ١٠٠٩و ١٠٢١ و ١٠٢٥و ١٠٣٩هـ، كما أوضحنا في الحديث عن أثر العوامل الإيجابية، إلا أن الطابع العام للفترة الطويلة الممتدة من عام ٩٦٩هـ حتى ١٠٤٤هـ كانت شحيحة الموارد شديدة الحياة على أهل نجد، حيث حصل خلالها انتشار الأمراض في بعض السنوات وتسلط الجراد في سنوات أخرى. كما حصل قحط عظيم في مكة المكرمة عام ١٠٤٣هـ ماتت بإذن الله ثم بسببه الخيل هناك حتى أنه لم يبق بمكة إلا فرس واحدة أبقيت للشريف زيد. (٦٦) أما أهل نجد فكانوا على موعد مع القحط والجدب والغلاء في عام ١٠٤٥هـ. ورغم تخصيص ابن بشر بلدة ملهم بالحديث عن أثر هذا القحط على أهلها مما دفعهم إلى الارتحال إلى بلدة العيينة طلبًا للطعام، إلا أن التشابه في الأحوال المناخية في بلاد نجد بدرجة كبيرة يؤكد أن هذا الجدب والقحط لا بد وأنه قد شمل منطقة أبعد من حدود بلدة ملهم، واستمر لعدة سنوات. (٦٧) والدليل على ذلك ما ذكره مؤرخو

نجد من القحط المشهور المسمى بلادان الذي عمّ بلاد نجد، وحصل بإذن الله ثم بسببه قحط شديد زاد من سوء الأحوال المعيشية لأهل البلاد النجدية حتى إن كثيراً منهم ارتحل إلى بلاد الأحساء البصرة والزبير كما حصل في مناسبات سابقة عند حدوث القحط وعدم استطاعة الناس تحمّل شدة الحياة. ويبدو أن هذا القحط متمم لما حصل من القحط السابق الذي اختلط على ابن ربيعة عندما عده من حوادث سنة ١٠٤٦هـ، ثم شكك في روايته عندما قال في حديثه عن سنة ١٠٤٧هـ، والظاهر أنها سنة بلادان. كما اختلط الأمر أيضاً على ابن بشر الذي ذكر أن هذا القحط وقع في عام ١٠٤٦ أو ١٠٤٧هـ. ورغم ذكر كل من البسام وابن عيسى وقوع هذا القحط في عام ١٠٤٧هـ، إلا أن ذلك قد يعني أيضاً أن كلا العامين شهد قسوة وقحطاً نتج عنه غلاء في الأسعار استمر عامين. (٦٨) ومما يبين شدة القحط والغلاء أن بعض القبائل النجدية تقاتلت من أجل تلقي القوافل القادمة بالميرة من الأحساء، بل إن الفاخري وابن بشر رويا أن قافلة لجساس، رئيس آل كثير، مرت ببلاد سدير والعارض في نجد عام ١٠٤٧هـ ولم يجدوا الزاد يباع هناك فارتحلوا في طلبه حتى وجدوه يباع في بلاد الخرج، حيث تزودوا منه ما يكفي حاجتهم. (٦٩)

وفي الستينات من القرن الحادي عشر وقع في بلاد نجد قحط وجدب مشهور أسماه أهل نجد هبران. وقد اختلف المؤرخون النجديون الذين تحدثوا عن هذا القحط في سنة حدوثه وهذا ما دعانا إلى القول إنه وقع في الستينات، وبينما يذكر ابن ربيعة أنه وقع في عام ١٠٦١هـ يقول ابن بشر إنه حدث سنة ١٠٦٣هـ، وقد اختلط الأمر عند الفاخري بين عامي ١٠٦١هـ و١٠٦٥هـ وتابعه في التاريخ الأخير المنقور. (٧٠) ويبدو أن اختلاف المؤرخين هذا راجع إما إلى وقوع القحط خلال السنوات الخمس المبتدئة بعام ١٠٦١هـ مع ظهوره واضحاً في بلد دون آخر خلال هذه السنوات، أو ربما يحمل هذا الاختلاف على أن القحط شمل بلاد نجد خلال هذه الفترة لكن تأثيره على السكان في السنوات المذكورة كان واضحاً، ولذلك سجلت على أنها سنوات قحط. أما التسمية فالمقصود منها التمييز للحوادث

الكونية المشهورة مثل الخصب والجدب والله أعلم. وعلى العموم؛ فإن من الواضح اتفاق المؤرخين النجديين على وقوع هذا القحط ووصفهم له بالشدة لكنهم لم يذكروا الآثار المترتبة عليه كما فصّلوا في سنوات القحط المشابهة، بل في سنوات كان تأثير القحط فيها أقل شدة من هذا القحط مثل الارتحال إلى بلاد أخرى أو الموت جوعًا، أو غيرها من الآثار. أما في رواياتهم لهذا القحط فقد اكتفوا بوصفه باسم هبران مما يعني عندهم أنه قحط شديد، لكن القارئ يتوق إلى معرفة الآثار الحسية التي تركها هذا القحط على أحوال السكان وهل صاحبه غلاء في أسعار المواد المعيشية وغيرها، فضلاً عن الرغبة في معرفة مستوى الأسعار وهو أمر لم يهتم به المؤرخون إلا نادرًا. (٧١)

أما سنة ١٠٦٥هـ فلم تكن أفضل حالاً من سابقاتها. وقد ذكر ابن عيسى من حوادثها القحط الشديد المسمى هبران دون ذكر تفاصيل عن آثار هذا القحط. أما المنقور فقد عدّ قحط هبران من حوادث سنة ١٠٦٦هـ دون أن يوضح طبيعة هذا القحط أو آثاره، واكتفى عن شرح مدى قسوة هذه السنة بقوله: "وفي أولها شرايد هبران" (٧٢) ومع أنه لم يفسر معنى هذه العبارة، إلا أنها ربما تعني بقايا القحط الشديد هبران الذي ذكره ابن عيسى من حوادث سنة ١٠٦٥هـ بحيث تعد هذه السنة امتدادًا لسنوات القحط السابق ذكرها والله أعلم.

وبين قحط هبران المذكور سابقًا وقحط صلهام الذي حدث عام ١٠٧٦هـ لم يشهد سكان البلاد النجدية حياة رخية، ولم يرد في روايات المؤرخين النجديين حصول خصب مشهور أو قحط شديد، مما يعني ضمنًا أن الحياة خلال هذه الفترة كان غالبها القسوة المعتادة في البيئة الصحراوية، خصوصًا وقد تخلل هذه الفترة ظهور الجراد والدبى في بلاد نجد كما حصل في سنوات ١٠٥٦ و١٠٧٠ و١٠٧٣هـ - كما سيأتي تفصيله لاحقًا إن شاء الله - مما زاد الشدة على أهل نجد. وقد خصّ الفاخري وابن بشر وابن عيسى سنة ١٠٧٠هـ بذكر ما وقع في مكة المكرمة من الغلاء بإذن الله ثم بسبب تسلط الجراد الذي أكل جميع الزروع والأشجار. وقد عبر

السكان عن مدى معاناتهم من شدة هذا القحط والآثار التي ترتبت عليه بأن أرّخوا له بعبارة "غلا وبلا". (٧٣)

أما الحديث عن قحط صلهام، الذي وقع ابتداءً من عام ١٠٧٦هـ، فقد أورده كل من الفاخري وابن بشر وابن عيسى بعبارات توحي بمدى المعاناة التي عاشها أهل البلاد النجدية وخاصة البادية الذين تعتمد حياتهم - بعد الله - على الكلأ والمرعى. (٧٤) وقد كان من نتائج هذا الجدب أن ارتحل سكان البوادي إلى القرى والبلدان طلبًا للعيش والحياة لمواشيهم بعد أن ماتت من شدة القحط، وكادوا أن يموتوا هم أنفسهم في هذا المحيط القاسي. ولم تقتصر الشدة في هذه السنة على القحط والجدب الذي حصل بإذن الله ثم بسبب قلة الأمطار، بل تسلط عليهم الجراد وأعقبه الدبى الذي أكل الأشجار والزروع. ومما يلفت الانتباه أن هذا القحط كان شاملاً، حيث ظهرت آثاره في مناطق أخرى في شبه الجزيرة العربية، وخاصة لدى بوادي الحجاز، كما حصل الغلاء الشديد في معظم بلاد الجزيرة العربية في العام التالي ١٠٧٧هـ وقد وصف الفاخري شدة المعاناة من هذا الغلاء، وخاصة في مكة المكرمة، بعبارات شديدة الوقع إلى درجة أن بعض الناس أكلوا ما لا يؤكل لحمه عادة، بل إنهم باعوا أمتعتهم وحوائجهم. (٧٥)

ومع هذا القنوط لدى سكان البلاد النجدية نتيجة للقحط المذكور سابقًا فقد رحمهم الله في عام ١٠٧٩هـ بالخصب الذي أتي بعد القحط وهو دلهام، كما فصلنا ذلك سابقًا عند حديثنا عن العوامل الإيجابية في صدر هذه الدراسة. ومن شدة فرحهم بهذا الخصب سموه رجعان صلهام، أي تراجع القحط المعروف بصلهام الذي حل ببلاد نجد كما أشرنا قبل قليل. وعلى العموم؛ فإن الأمور لم تكن ميسرة دائمًا إذ أصاب الزرع في العام التالي ١٠٨٠هـ الصفار الذي أضر بقيمته الغذائية والشرائية، وأثّر بناءً على ذلك على أحوال الناس ليضيف معاناة جديدة إلى معاناتهم. (٧٦)

وفي عام ١٠٨٥هـ حصل في بلاد نجد قحط عظيم وغلاء شديد أجمع مؤرخو

نجد على ذكره والآثار التي ترتبت عليه. وقد أسماه أهل نجد جرمان؛ لأنه يعدّ من الأمور المشهودة التي غالبًا ما يطلقون عليها أسماء تشتهر بها، وتكون علمًا عليها كما مرّ معنا سابقًا مثل قحط هبران وقحط صلهام. أما وصف قحط جرمان وما ترتب عليه من آثار فلم تكن على مستوى الحدث، حيث اقتصر وصف الآثار التي يمكن أن تستخلص من مجمل روايات المؤرخين النجديين على أن هذا القحط كان شديدًا بسبب ندرة الأقوات والمراعي مما أثّر تأثيرًا كبيرًا على حياة الناس. وربما كانت مبالغة من البسام عندما ذكر أن الناس أكلوا الحيتان من شدة الجوع، لأن الحيتان لا تتوافر في بلاد نجد إلا ما جفف منها لأغراض خاصة وهي قليلة على كل حال. ولعل القول إن بعض سكان بلاد نجد ماتوا من شدة الجوع هو أقرب إلى الواقع كما تدل على ذلك حالات مشابهة. أما من تدارك نفسه فقد ارتحل إلى مناطق أكثر رخاء مثل مناطق الأحساء والزبير والبصرة. فقد ذكر المؤرخون أن قبيلة الفضول اتجهت إلى الشرق، أي المناطق الشرقية من شبه الجزيرة العربية، والمقصود كما جرت العادة عند حصول مثل هذا القحط أن يتوجه كثير من الأفراد والقبائل إلى بلاد الأحساء والبصرة والزبير، حيث كانت الحياة هناك أكثر استقرارًا وأنعم بالاً. ومع أن هناك روايات على حدوث غلاء نتج عن طبيعية هذا القحط، إلا أن المؤرخين لم يبينوا مدى هذا الغلاء أو نماذج للأسعار السائدة في بلاد نجد. (٧٧)

ورغم أن العام التالي ١٠٨٦هـ شهد كثرة الأمطار وما نتج عنها من اخضرار الأرض بالعشب، حيث أطلق عليها أهل نجد اسم ربيع الصحن - كما لاحظنا سابقًا - إلا أن آثار القحط الذي حل في بلاد نجد في العام السابق كانت شديدة حيث استمرت هذه الآثار حتى هذا العام، وقد تمثل ذلك في الغلاء الناتج عن قلة الأقوات مما أضاف شدة على أهل نجد. كل هذه العوامل الكونية اضطرت السكان إلى الارتحال إلى بلاد الأحساء والبصرة الزبير. ولشدة هذا القحط أسماه أهل نجد جراذان. وهذه السنة من السنوات القلائل التي شهدت فيها بلاد نجد خصبًا وقحطًا في السنة نفسها، لكن الغالب عدّ مثل هذه السنة شديدة لتفاعل عوامل سلبية أخرى

تقلل من تمتع الناس بالخصب المحدود. كما استمرت معاناة الناس من القحط حتى السنة التالية ١٠٨٧هـ التي وصفها البسام بأنها "آخر القحط المسمى جرادان". كما وصف ابن بشر حالة البلاد والعباد في هذه السنة بتسلط الجراد والغلاء والجوع حتى أنه ذكر كثرة موت الناس من شدة ما واجهوه من قسوة الحياة. (٧٨)

ثم مضت بضع سنوات كانت الحياة في بلاد نجد خلالها متذبذبة بين الخصب الناتج عن الأمطار كما بينّا سابقًا، وبين الجفاف الغالب على الطبيعة الصحراوية لبلاد نجد، لكنه لم يصل إلى حد القحط والجدب. ومن الظواهر الكونية التي وقعت خلال هذه الفترة السيل العظيم في مكة المكرمة في عام ١٠٩١هـ، وكذلك الأمطار التي شهدتها بعض بلاد نجد كما أوضحنا ذلك سابقًا. ولعل وصف المنقور سنة ١٠٩٢هـ بـ "يوم بيع الحويل" (٧٩) - والمقصود به بيع نتاج العام الماضي وغالبًا ما يوصف به التمر - يعدّ دليلاً على ضعف المحصول في هذا العام واضطرار الناس إلى بيع ما حال عليه الحول بثمن قد يساوي ثمن الجديد منه. ومن هذا المنطلق؛ فإن هذا العام يدخل في فترة الشدة التي عانى منها سكان البلاد النجدية.

وفي عام ١٠٩٦هـ ذكر ابن بشر غلاء الطعام خاصة الحنطة، لكنه لم يذكر سبب الغلاء وهل كان ناتجًا عن جدب وقحط، أم كان ناتجًا عن تأثير عوامل أخرى. ومن الغريب أن ابن ربيعة والفاخري والمنقور وابن عيسى ذكروا رخص الأطعمة في هذا العام، ودلل ابن ربيعة على ذلك بكثرة الفقع وهو الكمأة كما ذكرنا ذلك سابقًا عند الحديث عن العوامل الإيجابية. وعلى العموم فمن الممكن الجمع بين هذه الروايات باختلاف المكان، حيث تكون الأطعمة شحيحة في بعض البلاد ومتوافرة في بلاد أخرى، أو يكون عليها طلب كبير من البادية أو الحاضرة أو كلاهما فترتفع أسعارها، وبالمقابل قد يكون إقبال أهل بعض البلاد على هذه الأطعمة قليلاً فترخص أسعارها. والشيء المهم الذي ورد في رواية ابن بشر هو ذكره لنماذج من الأسعار السائدة من غير تحديد مكانها، حيث ذكر أن سعر الحنطة بلغ صاعًا بثلاث محمديات، والتمر وزنة بمحمدية، لكنه أضاف أن هذه الأسعار مؤقتة ولم تستمر.

كما أفادنا ابن بشر بنوع التعامل الذي كان الناس يتعاملون به وهو نوع من الدراهم المعروفة تسمى المطابق حتى أن أهل العارض أطلقوا على هذه السنة اسم مطبق. (٨٠)

ثم مضى حوالي أربع عشرة سنة لم يسجل فيها المؤرخون النجديون معاناة سكان البلاد النجدية من القحط والجدب أو الغلاء بصورته القاسية، لكن ذلك لا يمنع أن تكون الحياة خلال هذه الفترة شديدة بسبب وقوع عوامل كونية سلبية أخرى مثل الأمراض والأوبئة والجراد والسيول الجارفة والآفات التي يتعرض لها النبات مثل الصفار الذي حصل في عامي ١٠٩٩هـ و ١١١٠هـ كما سنفصله لاحقًا عند تحليلنا للعوامل السلبية الأخرى. وفي المقابل شهدت بعض السنوات هطول الأمطار وحصول الخصب كما فصّلنا ذلك فيما مضى. أما الآثار المترتبة على القحط والجدب فقد حصل منها خلال هذه الفترة ما جعل الحياة قاسية مثل الغلاء الذي حدث في عام ١١٠٠هـ، حيث يقول المنقور: "وانكسر الزاد عندنا". (٨١) كما ذكر ابن بشر في العام نفسه حدوث الغلاء في عنيزة إحدى بلدان القصيم المشهورة، وقد ذكر ما قد يكون من أسباب الغلاء وهو مرور قوافل الحجاج الثلاثة، التي يقصد بها حجاج العراق وفارس وما والاهما، ببلاد القصيم في طريقهم إلى مكة المكرمة. (٨٢) والسبب المنطقي هو أن شراءهم الأطعمة بكميات كبيرة تسبب في ازدياد الطلب عليها مما كان سببًا في ارتفاع سعرها، لكن ابن بشر لم يبين لماذا خص هذا العام بالذات مع أن الحجاج يمرون كل عام ببلاد القصيم. والتعليل الأقرب هو أنهم كانوا يشترون أطعمتهم في الأعوام السابقة من بلاد أخرى، أما في هذا العام فقد ركزوا على بلاد القصيم إما لقلتها في المناطق الأخرى، أو لجودتها في بلاد القصيم، أو لأسباب أخرى.

وقد استمر الغلاء في الأعوام التالية ليس فقط في بلاد نجد، وإنما حصل أيضًا في مناطق أخرى من شبه الجزيرة العربية مثل مكة المكرمة، التي حصل فيها غلاء عظيم في عام ١١١٣هـ، وقد وصف المنقور مدى شدة هذا الغلاء إلى درجة اضطر

معها بعض السكان أن يأكلوا الميتة. كما بيّن مدى ما وصل إليه هذا الغلاء بأن ذكر أن التيس - وهو ذكر الماعز -، وصل سعره إلى خمسة مشاخصة. لكن المنقور لم يبين سبب هذا الغلاء الذي يبدو أنه حصل بسبب القحط والجدب وقلة المعروض للبيع. (٨٣)

أما بلاد نجد فقد حل بها، ابتداءً من عام ١١١٤هـ، القحط المشهور باسم سمدان أو سميدان على اختلاف روايات المؤرخين. وفي بيان مدى شدته أجمع المؤرخون على عبارة "سمد فيه أهل البوادي" من نجد والحجاز. وقد كان من شدة تأثيره اضطرار كثير من السكان إلى الارتحال إلى بلاد الأحساء والبصرة الزبير. وقد استمر الغلاء والقحط في السنة التالية ١١١٥هـ حتى أن أكثر بوادي الحجاز وهتيم لاقت صنوف القسوة والشدة حتى شارفت على الهلاك أو ذاقته. (٨٤) وعلى العموم، ومهما بلغت شدة القحط والغلاء إلا أن ذلك يبقى كلامًا نظريًا ما لم يعتمد على إحصاءات وبيان بالأسعار السائدة ومقارنتها بسنوات ومناطق أخرى، لكن المطلع على أخبار روايات المؤرخين المعاصرين ومصادر أخبارهم يقتنع بما استطاعوا أن يصلوا إليه من أخبار تاركًا أمر التفاصيل لخيال القارئ.

وبعد فترة من الزمن استمرت اثنتي عشرة سنة كانت مزيجًا من عوامل كونية غير مستقرة تناوبت على أهل نجد من نزول الأمطار والخصب والسيول المدمرة إلى الغلاء والشدة والبَرَد والبَرْد وتسلط الجراد وانتشار الأمراض، فإنه يصعب معه القول إن أهل نجد عاشوا هذه الفترة في حياة مستقرة. وعندما حل عام ١١٢٨هـ عاشت بلاد نجد القحط الشديد والشامل الذي استمر أربع سنوات. (٨٥) ومع أن هذا القحط لا يقل شدة عن القحط الذي عاود بلاد نجد عدة مرات في سنوات مختلفة وأسماء أهل نجد بأسماء اشتهر بها، إلا أن القحط في هذه السنة لم يحمل اسمًا يعرف به، لكن ذلك لا يقلل من واقع الأمر، وهو أن هذا القحط كان شديد القسوة على أهل البلاد النجدية، وهو يشبه في ذلك ما سبقه من قحط، والدليل على ذلك أن آثار هذا القحط تأثر بها الناس بشكل سلبي، كما بلغت درجة غارت

فيها الآبار، أي قلّ فيها الماء وأصبح بعيدًا في جوف الأرض، وهو أمر يبين العلاقة بين نزول الأمطار والخصب أو الجدب من جهة، وبين نزول هذه الأمطار وغور الآبار، وهو عادة لا يتم إلا إذا انحبست الأمطار لمدة طويلة، وهو السبب المباشر كذلك - بعد إرادة الله- في حصول القحط والجدب. ليس هذا فحسب؛ بل إن كثيرًا من الناس، وخاصة المساكين منهم الذين يعيشون عيشة الكفاف في ظل الظروف العادية، مات جوعًا، أما من سلم فقد تدارك نفسه وارتحل إلى بلاد الأحساء والبصرة والزبير وهي المناطق المألوفة لأهل نجد عندما لا يستطيعون البقاء في بلادهم لأسباب قاهرة مثل ما حصل في هذا العام. والحقيقة التي لا شك فيها أن هناك أناسًا من أهل نجد تحملوا قسوة الحياة ولهيب الحر وغلاء المعيشة لا رغبة في العيش في مثل هذه الظروف؛ بل لفرط حبهم لبلادهم ويقينهم برحمة الله وأن مع العسر يسرًا. وعلى العموم، ففي ظل غياب الإحصاءات - حتى التقريبية منها- لا نستطيع أن نعرف حجم الهجرة التي تحصل في مثل هذه الظروف.

وما كاد الناس في بلاد نجد يفيقون من آثار القحط الشديد، الذي جثم على بلادهم لمدة أربع سنوات منذ عام ١١٢٨هـ، حتى بدأت بوادر قحط مماثل تظهر للعيان في عام ١١٣٥هـ. ورغم قصر الفترة بين قحط وآخر، إلا إنها شهدت تذبذب الحالة العامة للسكان من جراء تنوع الآثار الكونية التي شهدتها بلاد نجد حيث هطلت الأمطار ونما الخصب في عام ١١٣٣هـ لكن مع ذلك استمرت حالة الجوع وضعف وهزال المواشي والبرد وتسلط الجراد، مما كان له أثر شديد على أحوال السكان. أما عن طبيعة وآثار القحط الذي وقع في عام ١١٣٥هـ، والذي سُمي سحى فقد ذكره بعض مؤرخي نجد وأشاروا إلى اختلاف أسمائه دون ذكر لهذه الأسماء. (٨٦) ومن روايات هؤلاء المؤرخين يتضح أنه قحط شديد نتج عنه وصاحبه غلاء عظيم، حيث كانت هذه السنة هي بداية هذا القحط الذي تعاظم في العام التالي ١١٣٦هـ وقد فصل في آثاره كل من البسام وابن ربيعة وابن بشر وابن عيسى إلى درجة أفرد له البسام عنوانًا كبيرًا على غير العادة أسماء القحط العظيم في

نجد . ومن خلال روايات هؤلاء المؤرخين يمكن أن نخرج بصورة واضحة عن هذا القحط تبين اشتداد القحط والغلاء في جميع أنحاء الجزيرة العربية وأطرافها الشمالية، وخاصة بلاد نجد والحجاز واليمن والشام، كما هلك(٨٧) أكثر البوادي في البلدان، وهلكت كثير من بوادي حرب وعنزة، وماتت مواشي بني خالد وغيرهم، وخاصة الأغنام، وكل بعير يحمل عليه، وغارت الآبار وجلا كثير من أهل نجد إلى الأحساء والبصرة والزبير والكويت ولم يبق في بلدان سدير إلا القليل، حتى أنه لم يبق في بلد العطّار إلا أربعة رجال، ولم يبق في بلدة العودة إلا ركيتان (بثران) فيهما ماء وكذلك في بلدة العطّار. (٨٨) كما هلك كثير من بوادي حرب والعمارات من عنزة وغيرهم ومات خلائق كثيرة جوعًا. بل إن البسام ربما بالغ في وصف حالة الشدة التي أحدثها هذا القحط بقوله: "وأكل الناس الحيتان والجلود البالية بعد حرقها، وشرب الدم المسفوح". (٨٩) وقد ذكر ابن ربيعة أمثلة للأطعمة التي ارتفعت أسعارها مثل الطعام والدهن. (٩٠) كما ذكر الفاخري وابن بشر والبسام وابن عيسى بأن شدة معاناة أهل نجد تمخضت عن قصيدة قالها بعض أدباء أهل سدير، لم يذكر اسم قائلها، بيّن فيها مدى معاناتهم من شدة ما أصابهم ومنها قوله: (٩١)

غدا الناس أثلاثًا فثلث شريدة
يلاوي صليب البين عار وجائع
وثلث إلى بطن الثرى دفن ميت
وثلث إلى الأرياف جال وناجع
ولا استكمل (٩٢) . . . . ولا أدري
غدا ما الله بالخلق صانع

ورغم هطول الأمطار بغزارة في العام التالي ١١٣٧هـ الذي كان من نتيجته أن أخصبت الأرض بالنبات إلا أن آثار القحط السابق ما زالت قائمة متمثلة في الشدة والغلاء، بل شدة الجوع بسبب نقص الأطعمة، حتى أن البسام ذكر أنه حدث من

جراء هذا الوضع الموت جوعًا، إضافة إلى عدم تعويض الناتج المحلي لهذا العام بسبب موت الزروع في أنحاء كثيرة من بلاد نجد بسبب شدة البرد وتسلط الجراد والدبى الذي أكل ما سلم من الزرع والأشجار إلا ما كُمم منها. (٩٣) وقد كانت هذه الشدة عامة لمناطق أخرى حيث ذكر الفاخري أن الغلاء شمل بلاد الحرمين حتى أنه لم يوجد ما يباع، وأكلت جيف الحمير ومات كثير من الناس، خاصة من حرب وعرب القبلة. كما ذكر ابن بشر أن الزروع في هذا العام ماتت من الصفار في كل مكان حتى في بلاد الشام. (٩٤) ومن الأدلة على استمرار هذا القحط الذي بدأ عام ١١٣٥هـ واستمر حتى عام ١١٣٧هـ أن ابن بشر ذكر وصفًامشابهًا لما ذكره المؤرخون الآخرون وقال عنه: "والمحل والقحط والغلاء إلى الغاية في هذا الوقت الشديد المسمى سحى". (٩٥)

وبعد مضي حوالي تسع سنوات عاش فيها أهل نجد حياة مستقرة نسبيًا، حيث شهدت بعض السنوات نزول الأمطار والخصب ورخص الأسعار كما فصّلنا ذلك سابقًا، إلا أن المؤرخين النجديين أغفلوا الحديث عن بعض السنوات الأخرى مما يعني عدم حصول عوامل كونية سلبية خلالها، لكن في عام ١١٤٦هـ عادت الحياة القاسية تخيم على أهل نجد. ففي هذا العام قلّ المطر وأجدبت الأرض وذاق أهل نجد، وخاصة القبائل، الأمرّين من سوء الأحوال المعيشية. وقد شرح ابن بشر مدى معاناة تلك القبائل بقوله: "قل الخصب والمطر، وصار بنو خالد وعنزة ومطير وعتيبة وزعب وبنو حسين وعربان شمر، متنازلين بينبان إلى الدجاني في خطيطة حينما اجتمعوا فيها، والذي غيرها قحط ليس فيه مرعى". كما بين الفاخري نوع المعاناة التي عاشها الناس في هذه السنة بعبارات موجزة لكنها وافية عندما قال: "قل الحيا وصار ما سواها محل" (٩٦) أي ندر الخصب وصار ما عداها جدب. ويبدو أن هذا القحط كان عامًا في شبه الجزيرة العربية بدليل أنه خلال هذا العام استفحلت المجاعة في العراق، وخاصة في بغداد، حتى أن الناس أكلوا الكلاب والقطط والجلود، بل والجيف من شدة الجوع. (٩٧)

ورغم تسلط الجراد والدبى في بلاد نجد في عامي ١١٤٧ و ١١٤٨هـ وحصول الخصب نتيجة لهطول الأمطار في عام ١١٥٠هـ إلا أن المؤرخين النجديين لم يصفوا السنوات الثماني التالية للقحط السابق بأنها شديدة، وهذا أمر نسبي لأنه لم يقع خلالها القحط الشديد أو الغلاء الفاحش. لكن هذه الحالة لم تستمر طويلاً، ففي عام ١١٥٤هـ حل القحط الشديد المسمى قرادان ضيفًا ثقيلاً على أهل نجد. ورغم أن الفاخري لم يجزم بحلول هذا القحط في هذا العام أو في عام ١١٥٦هـ إلا أن كلاً من البسام وابن بشر يعدانه من الحوادث الكونية المشهورة في عام ١١٥٤هـ، لكن ذلك لا يمنع من استمرار آثاره إلى عام ١١٥٦هـ ليوافق رواية الفاخري لأن مدة آثار القحط تمتد في الغالب إلى أكثر من سنة والله أعلم. (٩٨)

البَرْد والبَرَد:

وإذا كانت حالة الجدب والقحط والغلاء التي سبق ذكرها هي أهم العوامل الكونية السلبية التي عاشتها بلاد نجد خلال فترة الدراسة، وهي كذلك الصورة المتبادرة إلى الذهن عند التفكير بقسوة العوامل الكونية، إلا أن الواقع أن هناك عوامل كونية سلبية أخرى جثمت على أهل نجد وتعاقبت عليهم حتى أن المرء ليتساءل عن السر وراء صبر أهل نجد في العيش تحت قسوة هذه العوامل، وهو تساؤل ستتضح الإجابة عنه خلال الحديث عن مدى تفاعل هذه العوامل السلبية وأثرها على هذه البلاد وأهلها.

وعند ذكر البَرْد أو البَرَد يتبادر إلى الذهن هطول الأمطار؛ لأن البَرَد يكون عادة مصاحبًا للأمطار. أما البَرْد؛ فإنه يكون عادة في فصل الشتاء وهو موسم مهم للأمطار في بلاد نجد. ورغم الإشارة إلى البرد خلال حديثنا عن العوامل الإيجابية أو السلبية السابقة إلا أننا سنركز عليه في هذا المبحث مستقلاً، وبقدر من التفصيل لم يتح في المباحث السابقة. وعلى العموم؛ فإن إيراده هنا سيتناول أثره السلبي

على الإنسان والنبات والحيوان بوصفه من العوامل السلبية التي أثرت على أحوال السكان في بلاد نجد.

ولعل أول ذكر مستقل لأثر البَرْد ورد في عام ٨٨٣هـ، لكن لم ترد تفاصيل كثيرة عنه، أو عن زمانه، أو البلاد التي تضررت به مما يعني أنه برد شامل لمناطق متعددة في بلاد نجد، كما هي العادة في مثل هذه البلاد الصحراوية. وقد اكتفى البسام في ذكره للبَرْد في هذه السنة بقوله: "وفيها جاء برد شديد جمد الماء في البيوت من شدته" (٩٩).

وفي عام ٨٨٥هـ أنزل الله بَرَدًا كبيرًا كان له تأثير سلبي على الزراعة، حيث أتلف زروع بلاد كثيرة في نجد، منها الخرج، وبعض زروع العارض وضرما والمحمل وسدير. وبعد تسع سنوات وبالتحديد في عام ٨٩٤ هـ كانت بلاد الخرج وضرما على موعد مع البرد الذي أضر بمزروعاتها. لكن البسام الذي أورد هذه الرواية لم يوضح المقصود هل هو بَرْد أم بَرَد، عدا ما أورده عن وقوعه في فصل الصيف. ومع أن المتبادر إلى الذهن أن المقصود به البَرَد لأنه هو الغالب وهو المصاحب لمطر الصيف. وعلى العموم؛ فإن طبيعة هذا البَرَد أو البَرْد ليست هي المهمة بل المهم هو أثره السلبي على البلاد التي وقع فيها. وبمثل تلك العبارات ذكر البسام البرد الذي أتلف غالب زروع الوشم وسدير في عام ٨٩٩هـ، لكنه في هذه العبارة وصفه بأنه برد كثير مما يفهم منه العدد وهو عادة يخص البَرَد، إذ لو كان المقصود البَرْد لوصفه بالشدة. (١٠٠)

ولعل ما ورد من وصف لوقوع بَرَد كبار في الصيف أتلف غالب زروع الوشم وسدير في عام ٩٥٣هـ يعدّ أكثر دقة، كما هو حال وصف وقوع البَرَد الكبار الذي أتلف أكثر زروع العارض والخرج في عام ١٠٣٣هـ. (١٠١) ومع تركيز المؤرخين النجديين على بلدان معينة؛ فإن هذا يعني ضمنًا تأثر مناطق أخرى من بلاد نجد بهذه العوامل السلبية التي شملت آثارها البلاد والعباد، والزروع والحيوانات نظرًا لتشابه الأحوال المناخية في البيئة الصحراوية وتقارب البلدان.

وفي عام ٩٦٩هـ، ورغم قلة الأمطار والقحط، إلا أن هذه السنة شهدت بَرْدًا كان تأثيره شديدًا بسبب حصوله في فصل الشتاء، وخاصة في العقرب الأولى التي تشتهر ببرودتها الشديدة، خاصة في البيئات الصحراوية مثل البلاد النجدية. وقد زاد من شدة البرودة عدم نزول الأمطار في هذه السنة. ومن دلائل شدة هذا البَرْد أن الماء تجمّد في الصهاريج المعدة للماء، وهي من الطرق المستخدمة لقياس مقدار التجمد لدى أهل نجد في ذلك الوقت على ما يبدو. أما آثار هذا البَرْد على الناس فقد كانت شديدة، حيث أدت إلى موت كثير من الزروع، وهي عماد الحياة الاقتصادية في هذه البلاد مما كان له أثر شديد على أحوالهم المعيشية، ولهذا عدّ البَرْد من العوامل الكونية السلبية التي تأثر بها الإنسان بطريق غير مباشر.(١٠٢)

وفي السنوات الأولى من القرن الثاني عشر الهجري بدأ مؤرخون آخرون من بلاد نجد يذكرون في رواياتهم وقوع البَرْد والبَرَد. ففي عام ١١٠٠هـ ذكر كل من الفاخري وابن ربيعة وابن بشر بعبارات أكثر تفصيلاً، وقوع البَرْد المصاحب للأمطار، ومن أوصافه أنه برد شديد وأن المطر تجمد على جريد النخل (على العسبان والخوص كما يذكر ابن ربيعة)، وعلى الأعشاب المحيطة بالنخيل، حتى أنه تجمد على أهداب عيون الإبل، وهذا منتهى دقة الوصف.(١٠٣) ولشدة هذا البرد أطلق عليه أهل نجد اسم سليسل دون تحديد لمعنى هذه الكلمة. وعلى العموم؛ فإن المؤرخين النجديين لم يذكروا البلاد التي تعرضت لهذا البرد أو آثاره على البلاد والعباد، وخاصة أثره على الناحية الاقتصادية، وهي معلومات مهمة يحتاجها الباحث من أجل دراسة النواحي الاجتماعية والاقتصادية للسكان في هذه الفترة بصورة شاملة.

وفي عام ١١١٢هـ ذكر المنقور أن بعض بلاد نجد أصابها برد أضر بالزروع دون أن يحدد مكانًا أو زمانًا لوقوع هذا البرد، وحتى نوعه لم يعرف هل هو البَرَد أم البَرْد، لكن الغالب أن المقصود به بَرْد حسب ما تؤيده القرائن في هذا السنة.(١٠٤) أما في عام ١١٢٢ فقد أوضح ابن بشر بشيء من التفصيل أن الله أنزل بَرَدًا أذهب

زروع ملهم. (١٠٥) ومن الملاحظ أن وقوع البَـرَد أو البَرْد قد يشترك معه عوامل أخرى تؤثر سلبًا على أعمال السكان فتصبح السنة كلها شقاءً وتعبًا وعناءً بالنسبة لسكان البلاد النجدية. ففي السنة السابق ذكرها هبت ريح شديدة تكسرت بإذن الله ثم بسببها النخيل في كثير من البلدان النجدية، كما تهدم قصر رغبة كما سيأتي تفصيله لاحقًا.

ولعل سنة ١١٢٣هـ نالت نصيبًا وافرًا من تعليلات المؤرخين النجديين لما وقع فيها من عوامل كونية مختلفة، مثل الأمطار والسيول والجراد وغيرها. وما يهمنا هنا هو ما ذكره كل من الفاخري والمنقور وابن بشر من حصول البَرْد الذي أتلف الزروع بشكل كبير وخاصة ما كان في سنبله. ولم يعد الزرع إلى نمائه إلا في الصيف بعد أن أنزل الله غيثًا عميمًا شمل بلادًا كثيرة. وقد حدد الفاخري زمان هذا البرد بدقة، حيث ذكر أنه "حصل في الذراع وقتل كل ما سنبل". (١٠٦) ومثل هذا البرد حصل أيضًا في عام ١١٢٧هـ، وبالتحديد في شهر المحرم، حيث كان من شدته أن الماء تجمّد في أقاصي البيوت الكنينة، وكسر الصهاريج الخالية من الماء كما ذكر الفاخري الذي عدّه من الخوارق. أما ضرره على المزارع فكان شديدًا، حيث أضرّ بالنخيل والأشجار مما كان له تأثير سلبي على الحياة الاقتصادية في هذه السنة حيث ارتفعت الأسعار. ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره كل من ابن بشر والفاخري من أن صاع السمن بيع بمشخص والطلي بأحمرين. (١٠٧)

ويبدو أن البَرْد استمر خلال السنوات التالية، حيث ذكر المؤرخون النجديون حصول بَرْد شديد في سنوات ١١٣٣هـ و١١٣٤هـ و١١٣٧هـ و١١٤٣هـ. وقد كان له تأثير شديد على المزارع والأشجار رغم هطول الأمطار في سنة ١١٣٣هـ وفي سنة ١١٣٧هـ التي أثرت إيجابيًا على الحياة الاقتصادية حيث رخصت الأسعار، لكن هذا البَرْد زاد من شدة معاناة سكان البلاد النجدية، حيث أجمع المؤرخون النجديون على وصف آثاره بعبارات متشابهة تدل على الأثر السلبي الذي أحدثه على الزروع والمحاصيل الزراعية وخاصة التمر والعيش. ومما زاد في معاناتهم أيضًا

ظهور الجراد بشكل كبير في العامين المذكورين ليقضي على الزروع التي استطاعت تحمل شدة البَرْد، واستطاعت أن تحافظ على استقامة عودها. ومن الأمثلة على تلك العبارات: وجاء بَرْد شديد وطلع الجراد، وصار بَرْد شديد وجراد كثير، وفيها ماتت الزروع من شدة البَرْد، وفيها وقع بَرْد قتل الزرع. (١٠٨)

الرياح:

ومن العوامل الكونية السلبية التي أثرت على أحوال السكان في بلاد نجد، رغم تباعد حدوثها، هي الرياح العاصفة التي تقتلع النخيل والأشجار، أو تكسّر جذوعها مما يسبب خسارة اقتصادية تضاف إلى الآثار السلبية الأخرى. وقد شهدت بعض السنوات خلال فترة الدراسة رياحًا شديدة أثرت على أحوال السكان في بلاد نجد. ويجب الأخذ في الحسبان أن المؤرخين النجديين يذكرون في رواياتهم ما حصل في بلادهم أو سمعوا عنه في بلاد أخرى، كما أنهم عادة لا يسجلون من أخبار تلك الرياح إلا ما كان تأثيره شديدًا، وهي أمور نسبية، لكن ذلك لا يعني عدم حصول مثل هذا الرياح في أزمنة أخرى، أو مناطق أخرى من بلاد نجد. ولهذا فإنه يمكن عدّ هذه الروايات أمثلة لما يحصل من آثار هذه الرياح دون حصرها بما ورد في تلك الروايات.

ولعل أول ذكر لهبوب الرياح الشديد خلال فترة الدراسة حصل في عام ١٠٩٨هـ، حيث ذكر كل من الفاخري وابن بشر وابن عيسى هبوب رياح عاصفة على بلاد سدير اقتلعت من نخيل حوطة سدير حوالي ألف نخلة ورمتها بعيدًا. (١٠٩) وفي عام ١١٢٢هـ هبت رياح شديدة على بلاد سدير والمحمل والعارض أثرت على النخيل بالذات، حيث سقط منها عدد كبير لم يذكر المؤرخون النجديون الذين دونوا تاريخ هذه الفترة إحصاءً بعدده كما حصل في مناسبات أخرى. وعلى العموم، فقد كان وصفهم للآثار السلبية الناتجة عن هذه الرياح على

البلاد دقيقًا، حيث ذكروا أن الرياح في هذه السنة كسرت سيقان الزروع في بلدة ملهم، وسقط بإذن الله ثم بسببها نخيل كثير في بلدة البير، وتهدّم قصر رغبه. (١١٠) وإذا اعتبرنا هذه الرياح وما أحدثته من أضرار على الزروع والنخيل آثاراً سلبية؛ فإن مما زاد من معاناة أهل البلاد النجدية في هذا العام، وفي أعوام سابقة ولاحقة، هو حصول البَرْد وكثرة الجراد والدبى والخيفان الذي أكل غالب الزروع وثمرة النخيل وكل ما سلم من الرياح والبرد. وللمرء أن يتخيل الآثار التي تحصل في مجتمع محدود الموارد شحيح المياه قليل السكان بعيد عن استخدام الآلات الحديثة للزراعة متذبذب الاقتصاد، والأهم كيف يستطيع مقاومة مثل هذه الآثار الكونية السلبية؟

الجراد والدبى:

ومن العوامل الكونية التي لها آثار سلبية على البلاد والعباد تسلط الجراد والدبى والخيفان. ومن المعلوم أن الجراد ينتقل عادة من مناطق بعيدة، ويظهر في السماء على شكل أسراب تغطي الشمس ثم تنزل في مناطق قريبة من القرى والمزارع وتأكل الأعشاب الصحراوية والنباتات الزراعية، وهي تتوالد بكثرة خلال مبيتها وإقامتها في مكان معين، حيث يسمى ما يتوالد عنها الدبى وهذا ما يفسر لنا أن المؤرخين النجديين الذين يذكرون ظهور وانتشار الجراد يختمونه عادة بقولهم "وأعقبه الدبى" مما يعني أن الدبى متولد عن الجراد، كما أن هناك أنواعًا منها تسمى الخيفان لكنها أقل منها عددًا وتأثيرًا. ولا شك أن تسلط أعداد كبيرة من الجراد على المناطق الرعوية والزراعية يعدّ كارثة اقتصادية على أهل المزارع والرعاة بسبب تخريبه للمزروعات ومناطق الرعي، لكنه أيضًا يعدّ بالنسبة لسكان القرى في ذلك الوقت موردًا اقتصادياً جيدًا يحرص الناس على جمعه واقتنائه. أما طريقة جمعه فتتم عادة عن طريق نداء بصوت جهوري بوجود الجراد في مكان معين. وفي آخر الليل، أو الصباح الباكر يخرج الناس رجالاً ونساء لاصطياده نائمًا على شكل

مجموعات، وخاصة حول الشجيرات، ثم جمعه في أكياس ونقله إلى البلدان لأكله مسلوقًا بعد أن يملّح، أو بيعه في السوق. وقد استمرت هذه الطريقة حتى وقت متأخر من القرن العشرين، بل ما زالت تتم بين حين وآخر حتى الوقت الحاضر رغم التحذير بأن الجراد ربما يحتوي على مبيدات استخدمت لقتله. ورغم هذا الحرص من الناس على جمعه إلا أن ضرره على المزارع لا ينكر، ولذلك أدركت الدولة، في الوقت الحاضر، خطورته على الاقتصاد الزراعي فاستقدمت آلات الرش لتسميم الجراد، وتكاتفت دول عديدة في هذا المجال وتمت محاصرة مصادره في سبيل القضاء عليه، وخاصة بعد أن أضيف إلى خطورته على المزروعات خطره على الصحة العامة بسبب تسممه.

وعلى الرغم من أهميته الغذائية للناس في تلك الفترة إلا أن آثاره كانت واضحة على الزراعة والمزروعات، ولذلك عدّه المؤرخون النجديون من العوامل السلبية المؤثرة على أحوال السكان في بلاد نجد خلال فترة الدراسة. وسنعرض في الصفحات التالية لمدى الآثار التي خلفها انتشار الجراد على بلاد نجد وتأثيره المباشر على سكان تلك البلاد.

ففي عام ٨٥٧هـ انتشر الجراد وما توالد منه من الدبى والخيفان بكثرة في أرض نجد دون تعيين بلد معين مما يفهم منه أنه انتشر في مناطق متعددة. وقد كان تأثيره كبيرًا جداً، حيث أكل الحشائش والأشجار مما أثر على الخصب فأجدبت الأرض، كما أثّر على الأسعار حيث ارتفعت أقيامها. (١١١) ومع عدم إيراد أرقام أو إحصاءات لهذه الأسعار إلا أن مجرد إيراد خبره يعدّ من الأمور المهمة في ذلك الوقت لأن المؤرخين لا يتحدثون إلا عن العوامل الكونية التي لها آثار كبيرة سواء إيجابية أو سلبية.

وفي عام ٨٦٥هـ لم تدم فرحة أهل نجد بزوال الوباء عن بلادهم حتى عانوا من ظهور الدبى الذي أكل الزروع والأشجار. وقد كان تأثيره كبيرًا إلى درجة أن الأسعار ارتفعت في هذا العام لأسباب مختلفة، ومنها تسلط الدبى. ولم يتحسن

الحال في بلاد نجد كثيرًا خلال السنوات التالية، بل لعلها أكثر قسوة من السنوات السابقة. فبالإضافة إلى ما ورد في روايات المؤرخين النجديين من العوامل الكونية المؤثرة على أحوال السكان في بلاد نجد في سنة ٨٦٧هـ، ومنها الأمراض الفتاكة مثل الجدري والحصبة التي راح ضحيتها خلق كثير - كما سيأتي تفصيله لاحقًا - وردت روايات عن كثرة الجراد في بلاد نجد وما أعقبه من الدبى الكثير، حيث تسلطت هذه الحشرات على الزروع والثمار والأشجار. ومن آثارها السلبية أنها أدت إلى غلاء الأسعار بسبب تضرر المزارع والمراعي من هذه الحشرات. (١١٢)

ومن خلال استعراض الروايات التي تحدثت عن ظهور الجراد والدبى وانتشاره في بلاد نجد نلاحظ تشابهًا في تفصيل الآثار التي تركتها هذه الحشرات. ففي عام ٨٨٣هـ انتشر الجراد في بلاد نجد وما أعقبه من الدبى، وقد كان تأثيره واضحًا في أكله الزروع والأشجار. (١١٣) ورغم عدم تسمية الروايات التي تحدثت عن هذا الموضوع للبلاد المقصودة إلا أن تقارب البلاد النجدية، وتشابهها في المناخ، وانتمائها إلى البيئة الصحراوية، توحي بانتشار هذه الحشرات وتنقلها من منطقة إلى أخرى في بلاد نجد. أما تأثير هذا الجراد على السكان فلا شك أنه تأثير واضح على الزراعة والرعي، خاصة إذا عرفنا أن عماد حياتهم - بعد الله - كان على هاتين الحرفتين. ليس هذا فحسب؛ بل إن سكان البلاد النجدية تأثروا خلال هذه السنوات، وفي هذه السنة بالذات، بعوامل كونية أخرى مثل البَرْد الشديد الذي جمد الماء بسببه مما زاد من معاناة أهل نجد من هذه العوامل أيما معاناة كما أوضحنا سابقًا.

ورغم ورود رواية عن انتشار الجراد والدبى في بلاد نجد في عام ٨٩٢هـ مشابهة للرواية السابقة، إلا أن ما ذكر في هذه الرواية من أن الحشرات أكلت "بعض" الزروع والأشجار توحي بأن تأثيرها في هذا العام ليس شديدًا، وكذلك الحال في عامي ٩٠٦هـ و ٩١٦هـ. لكن الرواية عادت في عام ٩٣٩هـ إلى سابق عهدها، عندما ذكر البسام في روايته عن انتشار الجراد والدبى في هذا العام إلى التعميم،

حيث ذكر أن الجراد والدبى أكل الزروع والأشجار في بلاد نجد. وقد أضاف تسلط الجراد في هذا العام إلى معاناة أهل نجد قسوة في الحياة إضافة إلى ما أصابهم من القحط والغلاء مما اضطر أهلها إلى الارتحال إلى البلاد المجاورة في الأحساء والبصرة والزبير كما أوضحنا ذلك سابقًا. (١١٤)

ويبدو أن المصاعب كانت تلازم سكان البلاد النجدية، إذ قلّما يمضي عام من دون أن يؤثر عليهم عامل أو أكثر من العوامل السلبية التي شهدتها بلادهم خلال فترة الدراسة مما أثبتته الشواهد التي ذكرناها سابقًا. وفي عام ٩٨٤هـ كان أهل نجد على موعد مع وباء عظيم هلك بإذن الله ثم بسببه خلائق كثيرة من أهل البلاد النجدية. ليس هذا فحسب؛ بل تسلط عليه في هذا العام الجراد والدبى الذي أعقبه، حيث كان تأثيرهما شديدًا على الزروع والثمار والأشجار مما أضاف إلى معاناة أهل البلاد قسوة في الحياة بسبب سوء الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والصحية الناتجة عن تأثير تلك العوامل في هذا العام. (١١٥)

ومن الملاحظ أن ظهور وانتشار الجراد والدبى لا يرتبط بالضرورة بالحالة الاقتصادية في البلاد من حيث الخصب والجدب. فكما لاحظنا سابقًا من انتشار الجراد والدبى في سنوات مجدبة، كان ظهوره وانتشاره في عام ١٠٢٥هـ في وقت كثرت فيه الأمطار والسيول في الوسمي ثم تتابعت إلى آخر الصيف كما ذكرنا ذلك سابقًا. والتعليل الوحيد في عدم ارتباط مجيء الجراد بالحالة الاقتصادية هو أن الجراد يأتي من مناطق بعيدة ومن بيئات صحراوية مماثلة مثل بيئة الصحراء الكبرى وبلاد السودان، لكن ربما كان سبب هجرته حالة جفاف في تلك البلاد والله أعلم. وما يهمنا هنا هو ظهور وانتشار الجراد في بلاد نجد وتأثيره على الحالة الاقتصادية للسكان.

وفي عام ١٠٥٦هـ ظهر الجراد والدبى في بعض بلاد نجد مع أن المؤرخين النجديين لم يذكروا حالات خصب أو جدب في هذا العام مما يؤكد ما ذهبنا إليه من ضعف العلاقة بين وجود الجراد والحالة الاقتصادية في البلاد، لكن مما لا شك فيه

أن تأثيره السلبي يأتي نتيجة لظهوره وانتشاره وهو ما حدث في هذا العام وغيره من السنوات، حيث ورد من حوادث هذا العام كثرة الجراد والدبى الذي أكل بعض الزروع والأشجار. (١١٦)

وفي أول إشارة له لآثار ظهور وانتشار الجراد والدبى في مناطق أخرى في الجزيرة العربية خلال فترة الدراسة ذكر الفاخري أن الجراد والدبى ظهر في الحجاز واليمن في عام ١٠٧٠هـ، حيث أكل جميع الزروع والأشجار، مما أثر تأثيراً سلبياً على مستوى الأسعار، حيث ارتفعت أقيامها كما ذكرنا ذلك سابقًا. (١١٧) ومع أن الفاخري لم يذكر ظهور الجراد في بلاد نجد في هذه السنة إلا أن احتمال وصول أسراب منه ليس ضعيفًا خصوصًا إذا عرفنا أن الجراد يأتي من مناطق بعيدة جداً.

وعلى العموم فإن بلاد نجد كانت على موعد مع ظهور هذا الجراد وانتشاره في ربوعها بعد ثلاثة أعوام، وتحديداً في عام ١٠٧٣هـ حيث ظهر وانتشر بكثرة في بلاد نجد وأعقبه الدبى، وكان تأثيره واضحًا، حيث أكل بعض الزروع والأشجار. كما ظهر الجراد أيضًا في عام ١٠٨٢هـ لكن تأثيره في هذا العام يبدو أنه أكثر شدة حيث أكل غالب الزروع والأشجار، كما تسبب في غلاء الأسعار وهي ظاهرة تبدو ليست غريبة في بيئة مثل البلاد النجدية بسبب تأثرها بعوامل كونية متعددة قد يحصل منها في السنة الواحدة أكثر من عامل، وهي بالتالي تزيد من شدة وقسوة حياة أهل هذه البلاد مما يمكن عدّه سببًا في وصف البلاد النجدية بصعوبة الحياة خلال فترة الدراسة رغم ما يظهر في بعض السنوات من هطول الأمطار وحصول الخصب.

ويبدو أن سنة ١٠٨٧هـ كانت من أشد السنوات على أهل نجد حيث أجمع المؤرخون النجديون على وصف ظهور وانتشار الجراد وتأثيره على الحياة الاقتصادية في هذه البلاد لأول مرة. فقد ذكر كل من الفاخري وابن ربيعة وابن بشر ما حصل فيها من تأثير عوامل كونية ومنها الجراد. ومع أن آثار ظهور وانتشار الجراد معروفة، وهي أكله الزروع والأشجار والمراعي إلا أنه تزامن في هذا العام مع موت كثير من الناس مما زاد من عناء أهل البلاد. ومع أن الفاخري يؤكد أن موت الناس كان بإذن

الله ثم بسبب أكلهم له، يذكر ابن بشر أن موت الناس في هذا العام كان من شدة الوقت والغلاء والجوع، وهو ما وصفه كلا المؤرخين بأنه منتهى القحط المعروف بجراداان كما أوضحنا ذلك سابقًا. أما ابن ربيعة فقد اكتفى بروايته عن الشدة في هذه السنة بقوله: "وكثر فيها الجراد وموت الناس". أما سنة ١٠٨٩هـ فقد ذكر المنقور من مظاهرها "الدبى الكثير". (١١٨) وهذه ظاهرة تحدث لأول مرة خلال فترة الدراسة لأن الدبى يتوالد عن الجراد عادة، ولذلك فإن خبر ظهوره لوحده دون الإشارة إلى ظهور الجراد، بالإضافة إلى عدم الإيضاح عن مدى تأثيره على الزروع والأشجار تقلل من أهمية تأثيره على الحياة الاقتصادية. أما في عام ١٠٩٢هـ فقد أعاد المؤرخون النجديون تكرار الرواية المعتادة عن ظهور وانتشار الجراد وما أعقبه من ظهور الدبى في بلاد نجد وتأثيره على الحياة الاقتصادية للناس، حيث أكل كثيرًا من الزروع والأشجار، لكن، بكل تأكيد، فإن هذه الرواية تؤكد حقيقة ثابتة وهي هشاشة الوضع الاقتصادي في بلاد نجد، حيث إنه يتأثر بأقل العوامل السلبية.

وإذا حاولنا تحليل عبارات النصوص التي أوردها المؤرخون، نجد هناك ثلاثة أوصاف للمدى الذي أحدثه ظهور وانتشار الجراد والدبى على الحياة الاقتصادية، فتارة يذكر المؤرخون أن الجراد والدبى أكل جميع الزروع والأشجار، أو أكل الزروع والأشجار بالتعميم وهذا منتهى التأثير والخسارة، وتارة يذكرون أنه أكل غالب الزروع والأشجار وهي قد تعني أن تأثيره متوسط، وتارة يذكرون أن الجراد والدبى أكل بعضًا من الزروع والأشجار، وهي تعني أن تأثيره كان محدودًا والله أعلم.

أما في عام ١٠٩٩هـ فقد ذكر كل من الفاخري وابن بشر كثرة الجراد لكن بصيغة تبدو إيجابية، حيث جمعا بينه وبين العشب والفقع، وهي مظاهر تدل على تحسن الأحوال المعيشية للناس وتعافي الحياة الاقتصادية، وفي الوقت نفسه لم يشيرا إلى أن الجراد أكل الزروع والأشجار حسب الرواية المعتادة، أو حتى بعض تلك الزروع والأشجار. (١١٩) وقد يكون إيراد خبر ظهور الجراد مقرونًا بالخصب

لتأكيد أن للجراد آثاراً إيجابية بجانب الآثار السلبية . فالإيجابية أن الناس كانوا يجمعونه ويسلقونه ويأكلونه ليكون عوضاً عن اللحم لدى البعض منهم وهو تعليل مفهوم . وقد تكون أسراب الجراد التي ظهرت في هذا العام ليست كثيرة مما يقلل من آثارها السلبية . وعلى العموم؛ فإن هذه السنة من السنوات القلائل التي فرح بها الناس، حيث رخصت الأسعار وازدهرت الحياة الاقتصادية للمجتمع وظهر مدى فرحهم شعراً يُنظم كما أوضحنا ذلك عند حديثنا عن العوامل الإيجابية للعوامل الكونية والله أعلم .

وفي مستهل القرن الثاني عشر الهجري ذكر الفاخري أن الدبى أكل الثمار دون أن يوضح البلاد التي انتشر فيها، وكان قد ذكر في الفقرة التي قبلها وقوع مرض الطاعون في البصرة، لكنه لم يؤكد الارتباط المكاني بين هذين العاملين السلبيين . (١٢٠) وكما ذكرنا سابقاً؛ فإن إيراد خبر ظهور الدبى لوحده دون الجراد يقلل من إمكان تأثيره السلبي على الحياة الاقتصادية في بلاد نجد . وعلى العموم؛ فإن الحديث عنه بشكل لا يرتبط بانتشار الطاعون في البصرة، وكذلك إيراده بمعزل عن ذكر البلاد التي انتشر فيها يرجح أن المقصود انتشاره في بلاد نجد؛ لأن تاريخ الفاخري يركز بشكل واضح على البلاد النجدية ولا يهتم بما يجري في البلاد الأخرى إلا ما نص عليه كما حصل في إيراده للطاعون في البصرة في هذا العام، وكما حصل في خبر إيراده انتشار الجراد في بلاد الحجاز واليمن في عام ١٠٧٠هـ كما أسلفنا . ومما يؤكد أن المقصود بالبلاد في هذه الدراسة، في حالة عدم ذكرها صراحة، هي البلاد النجدية ما حصل في سنتي ١١١٠هـ و ١١١٢هـ من كثرة الجراد والدبى الذي أعقبه، وكان من آثاره أكل بعض الزروع والأشجار . (١٢١)

وبعبارات مبهمة ذكر المنقور في عام ١١٢٠هـ كثرة الجراد ثم أضاف قوله : "ثم مات وهو سمنان" (١٢٢) ومع عدم الإيضاح لما تعنيه عبارة وهو سمنان؛ فإن المتبادر إلى الذهن أنها ربما تعني أن الجراد أكل ما استطاع من الزروع والأشجار ومات وهو سمين من بركة الخصب والله أعلم . وبعد سنتين أي في عام ١١٢٢هـ

عاد الجراد وما أعقبه من ظهور الدبى إلى بلاد نجد، حيث ترك آثاره المعتادة من أكل الزروع والأشجار. (١٢٣) وفي وصفهما لآثار هذه الحشرة، ذكر كل من الفاخري والمنقور البعد النوعي والمكاني لهذه الآثار. فقد ذكر الفاخري أنه في هذه السنة: "جاء دبى كثير وخيفان أكل غالب الزروع وثمرة النخيل" (١٢٤). والفاخري بهذه الرواية يذكر أثر الجراد والخيفان على ثمرة النخيل وهي تذكر لأول مرة خلال فترة الدراسة، لأن العادة جرت أن يكون تأثير الجراد على الأعشاب والزروع، مما يؤكد البعد السلبي في تلك الآثار. أما المنقور فقد حدد البلاد التي تسلط عليها الجراد والدبى والخيفان عندما قال: "وأكل الدبى والخيفان غالب زرع سدير، وضر النخل إلى القصيم" (١٢٥) وهي رواية تؤكد البعد المكاني وتبتعد عن التعميم إلى التخصيص في ذكر الأماكن التي تضررت من آثار هذه الحشرات. ومما زاد من معاناة سكان البلاد النجدية في هذه السنة هبوب الرياح على بلادهم حيث اقتلعت وكسرت نخيلاً كثيراً في بلاد البير وسدير والمحمل والعارض، وكذلك حلول برد أضر بزروع بلدة ملهم، كما سقط قصر رغبة بسبب هذه الرياح. وكل هذه العوامل السلبية تركت آثارها القاسية على الحالة الاقتصادية في بلاد نجد، حيث أضافت المزيد إلى ما كانوا يعانونه من تسلط الجراد كما أوضحنا ذلك سابقاً.

وإذا كان مسلسل الآثار الكونية التي عاشتها بلاد نجد ما زال مستمراً، كما يلاحظ من الجدول المرفق الذي يمكن من خلاله المقارنة بين العوامل السلبية؛ فإن تسلط الجراد والدبى والخيفان أخذ نسبة عالية من تلك الآثار. ففي عام ١١٢٣هـ كان سكان البلاد النجدية على موعد مع أسراب الجراد والخيفان التي أذهبت الثمار كما يروي المنقور، وأكلت ما سلم من البرد الذي أصاب الزرع في هذه السنة قبل أن تدركهم رحمة الله في نزول الغيث في الوسمي، حيث كان بمثابة المنقذ لهم بعد الله من تردي أحوالهم الاقتصادية إلى درجة كبيرة نتيجة لآثار العوامل الكونية السابقة. (١٢٦)

وفي رواية تبين آثاراً أخرى ملموسة لمعاناة سكان البلاد النجدية من ظهور

الجراد والدبى ما حصل في حوادث سنة ١١٢٧هـ من البرد الشديد الذي عانى منه سكان تلك البلاد، ثم زاد من معاناتهم كثرة الجراد والدبى الذي كانت آثاره الاقتصادية شديدة ليس فقط في تأثيره على الزروع والأشجار؛ بل إنه في هذا العام هاجم البلدان على غير العادة ودخل البيوت وتساقط في الآبار فأنتنت، وحصل منه أذى كبير على الناس، وخاصة آثاره الصحية عندما وجدوا أنفسهم لا يستطيعون الاعتماد على آبارهم للشرب أو لسقيا مزارعهم وهي أشبه بالكارثة البيئية في الوقت الحاضر، لكن آثارها تعدّ أشد من كوارث الوقت الحاضر نظرًا لقلة الإمكانات وعدم وجود البدائل. وهذه الظاهرة تضاف إلى الظواهر الكونية السلبية التي جعلت البلاد النجدية وسكانها يضربون رقما قياسيًا في صبرهم وتحملهم لحياة اقتصادية قاسية. (١٢٧)

ويبدو أن هناك علاقة ما بين شدة البَرْد وظهور الجراد والدبى وهي علاقة مناخية أكثر من أي شيء آخر. وتعليل هذه الظاهرة يكمن في أن موسم البَرْد غالبًا ما يكون في فصل الشتاء، وهو أيضًا موسم هجرة أسراب الجراد إلى الجزيرة العربية لأنها لا تستطيع العيش في الحر الشديد. ومن غير شك؛ فإن النماذج السابقة تؤكد ظاهرة الارتباط هذه. ومن النماذج الأخرى أيضًا ما حصل في عام ١١٣٤هـ من وقوع البرد الشديد والجراد الكثير كما يقول الفاخري. (١٢٨) أما سنة ١١٣٧هـ فقد أجمع المؤرخون النجديون على أنها سنة شديدة شهدت خلالها البلاد النجدية عوامل كونية مختلفة، وهي من السنوات القلائل التي تظهر فيها العوامل الكونية الإيجابية والسلبية في العام نفسه، حيث حصل فيها كثرة الأمطار والسيول والخصب والشدة والغلاء في كل مكان حتى في الحجاز والشام؛ بل والموت جوعًا بسبب القحط والبرد الشديد الذي قتل الزروع كما أوضحنا ذلك سابقًا. وما نحن بصدد دراسته هنا هو آثار ظهور الجراد الذي أكل غالب الزروع والأشجار، بل إن الفاخري ذكر أن الجراد أكل ثمار جميع البلدان إلا ما كُمّم، أي كسي بقماش لحفظه. (١٢٩)

وفي عامي ١١٤٧هـ و ١١٤٨هـ ظهر الجراد والدبى في بلاد نجد وأكل غالب الزروع والأشجار، لكن آثار انتشاره في السنة الأخيرة كانت واضحة بسبب انتشار الجراد والدبى في جميع بلاد نجد، بل إنه دخل البلدان وأكل الزروع والأشجار وتساقط في الآبار حتى أنتنت وتعب الناس من جراء ذلك تعبًا شديدًا كما حصل في عام ١١٢٧هـ، حيث يقول الفاخري إن الدبى أكل ثمار البلدان. (١٣٠)

وعلى العموم، وكما ذكرنا سابقًا، فإنه على الرغم من فوائد الجراد لبعض الناس الذين يتخذونه غذاءً بعد اصطياده وطبخه مسلوقًا إلا أن آثاره السلبية على المزارع تعدّ آفة اقتصادية تؤثر على الناس أيّما تأثير كما اتضح من خلال الصفحات السابقة.

الأوبئة والأمراض:

إذا كانت العوامل الكونية السابقة سواء الإيجابية أو السلبية قد أثرت تأثيرًا مباشرًا على الحياة الاقتصادية في بلاد نجد من خلال تأثيرها على الزراعة وتربية الحيوان وغيرها، وهي بدورها أثرت على الإنسان بطريق غير مباشر؛ فإن تأثير الأوبئة والأمراض التي كانت تنتشر في المجتمع على العكس من ذلك، حيث يتأثر بها سلبًا الإنسان بالدرجة الأولى مما يؤثر على الناتج الزراعي والحيواني، وعلى الاقتصاد بشكل عام بطريق غير مباشر. ومن هذا المنطلق؛ فإن تأثير الأمراض والأوبئة له انعكاس سلبي على جميع مناحي الحياة. ومن اللافت للنظر تعرض بلاد نجد خلال فترة الدراسة إلى أنواع من الأمراض بعضها منبعه من البيئة المحلية والبعض الآخر انتقل من بلاد أخرى بعيدة حتى وصل إلى بلاد نجد. كما يلاحظ أن المؤرخين النجديين يطلقون لفظ الوباء تارة، بينما يسمون أمراضًا معينة مثل الجدري والحصبة بأسمائها تارة أخرى. ومع أن السبب في اختلاف الروايات غير معروف، فإن تعليل ذلك قد يكون بسبب وجود أنواع من الأمراض غير معروفة في بلاد نجد، إما لندرة وقوعها أو لأنها غير معروفة الأسباب ويكون ضحاياها كثيرين، ولهذا

يطلقون عليها لفظ وباء، بينما هناك أمراض معروفة وتتكرر كثيراً في بلاد نجد مثل الحصبة والجدري، ولذلك فإنهم يسمونها بأسمائها المشتهرة بها والله أعلم.

وفي أول ذكر للأوبئة والأمراض في بلاد نجد خلال فترة الدراسة ذكر المؤرخون النجديون انتشار وباء عظيم في بلاد الوشم وسدير وفي البراري في عام ٨٦٢هـ. (١٣١) ويبدو أن هذا الوباء قادم من مناطق أخرى في الجزيرة العربية أو خارجها بدليل أن من البلاد التي تأثرت به الأحساء والقطيف، وغيرها من مناطق خارج بلاد نجد. (١٣٢) ومع أن المصادر والمراجع لم تذكر اسمًا معينًا لهذا الوباء إلا أن ذكر الآثار المترتبة عليه - وخاصة ما ذُكر أنه هلك بإذن الله ثم بسببه خلائق كثيرة- توحي بعظم تأثيره. لكن هذه العبارة تبقى مبهمة مع عدم ذكر إحصاء بعدد من ماتوا في هذا الوباء وهو أمر مهم لبيان مدى تأثير هذا المرض على عامة السّكان وعلى الحالة الاقتصادية التي تأثرت بسبب فقد بعض أفراد المجتمع سواء بالموت مباشرة من هذا المرض، أو مؤقتًا بسبب تعطل الأفراد العاملين في المجتمع لمدة قد تطول بسبب المرض، أو حصول بعض التشوهات التي تحدث نتيجة لهذه الأمراض بسبب قلة الوعي الصحي وندرة المشافي، أو من خلال ما يترتب على موت عدد كبير من الناس من الآثار الاجتماعية والصحية والاقتصادية. ومع أن البسام ذكر هذا الوباء في حوادث سنة ٨٦٢هـ إلا أنه شكك في هذه الرواية لاحقًا عندما قال: "وقيل إنه وقع في سنة ٨٦٠هـ والله أعلم". وعلى العموم؛ فإن الاختلاف في تاريخ وقوع هذا المرض لا يغير من طبيعة الآثار التي ترتبت عليه بالنسبة لسكان البلاد النجدية، حيث شلّ الحياة الاقتصادية وزاد من شدة المعاناة التي كان يعيشها أهل هذه البلاد.

وفي عام ٨٦٤هـ وقع وباء في بعض بلاد نجد شمل كلاً من بلاد الخرج والعارض وضرما. (١٣٣) ومع أن المؤرخين لم يذكروا له اسمًا معينًا، لكن هناك علامات تدل على أنه وباء شديد بدليل أنه مات بإذن الله ثم بسببه خلق كثير، وهي آثار متوقعة من انتشار الأوبئة في بيئة يستخدم سكانها العقاقير المحلية البدائية

لمكافحة الأمراض والأوبئة المعدية. ومع ذلك؛ فإن عدم ذكر أرقام معينة لعدد من مات بهذا الوباء أو الآثار الاقتصادية التي نتجت عنه تقلل من تخيل مدى تأثيره مع أن مجرد إيراد خبر حدوث الوباء يعني الكثير من النتائج السلبية الصحية والاقتصادية في المجتمع.

ومع ما أصاب أهل نجد من آثار هذا الوباء إلا أن الله فرّج عليهم في العام التالي ٨٦٥هـ، حيث رفع الله الوباء الذي حل ببلادهم في العام السابق. ومع أنه لم يكن هناك دليل صريح على أن المقصود به الوباء الذي حل في العام السابق إلا أن البسام ختم الحديث عن العوامل التي وقعت في هذا العام بأن ذكر وقوع المرض في بلاد نجد. والجديد في رواية البسام أنه عرّف هذا المرض بأنه الجدري والحصبة، إلا أنه لم يعين البلاد التي وقع فيها كما حصل في السنوات الماضية مكتفيًا بالقول إنه عامّ في بادية نجد وحاضرتها مما يعني أن تأثيره كان في مناطق متعددة من بلاد نجد. (١٣٤) أما الآثار التي نتجت عن هذا المرض فقد كانت كبيرة، حيث هلك بإذن الله ثم بسببه خلائق كثيرة لم تحدد المصادر عددهم، لكن يفهم من عبارة "لا يحصيها إلا الله تعالى" أن عددهم كان كبيرًا. ومما زاد الطين بلة تأثر البلاد النجدية وأهلها بعوامل سلبية أخرى كما بيّنا سابقًا، وكما هو واضح من خلال الجدول المرفق، مما يعني أن هذه السنة تضاف إلى سنوات الشدة التي عاشتها بلاد نجد.

أما سنة ٨٦٩هـ فقد كانت شديدة، ليس فقط بسبب استمرار القحط والغلاء الذي بدأ في العام السابق مما أثر على الحالة الاجتماعية والاقتصادية لدى سكان البلاد النجدية، واضطر الكثير منهم إلى الارتحال إلى مناطق أكثر خصبًا وأرغد عيشًا كما فصّلنا ذلك سابقًا، لكن ما يهمنا هنا هو بيان ما حل في بلاد نجد من الوباء الذي وُصف بالعظيم لشدته. وكما حصل في روايات سابقة، لم يحدد المؤرخون النجديونَ نوعية هذا الوباء أو البلدان التي تأثرت به عدا قولهم، إنه وقع في بلدان نجد والبادية، والتعميم عادة يعني انتشاره في منطقة واسعة. أما آثاره فقد اكتفى هؤلاء المؤرخون بالوصف العام للآثار المحسوسة وهو موت خلائق كثيرة بإذن الله

ثم بسببه، وهو سبب كاف لوصف حالة البلاد النجدية بالشدة والقسوة. وعلى العموم فقد استمر هذا الوباء حتى العام التالي ٨٧٠هـ، حيث رفعه الله عن بلاد نجد. (١٣٥) وكالعادة لم تذكر المصادر والمراجع النجدية أعداداً معينة لمن ماتوا بهذا الوباء أو على الأقل أسماء المشهورين منهم كما سيتبين في روايات أخرى قادمة عن آثار أمراض وأوبئة حلت ببلاد نجد وأسماء من قضوا فيها. لكن مهما كان نوع الوباء ومهما كانت البلاد الموبوءة به؛ فإن ذلك يؤكد مدى المعاناة التي عاشها الأسلاف من أهل نجد بادية أو حاضرة، وكان لها تأثير مباشر على أحوالهم الصحية والاقتصادية.

ومن المهم، ونحن بصدد تسجيل وتحليل انتشار الأوبئة والأمراض في بلاد نجد، ملاحظة مرور أكثر من قرن من الزمان (٨٧٠-٩٨٤هـ) دون أن يذكر المؤرخون النجديون حدوث أية أوبئة أو أمراض في بلاد نجد، في وقت وقعت فيه مثل هذه الأمراض في سنوات متتالية في الفترات السابقة واللاحقة لهذا القرن المشار إليه مما كان محل الاستغراب. وإذا أخذنا في الحسبان أن البسام هو المؤرخ الوحيد الذي سجل أحداث نجد منذ بداية فترة الدراسة حتى نهايتها، وأن المؤرخين النجديين الآخرين بدأوا تدوين تواريخهم عن العوامل الكونية في هذه البلاد منذ الربع الثاني من القرن الحادي عشر، أي بعد انقضاء القرن المذكور، لوجدنا بعضاً من التعليل لهذه الظاهرة. لكن هل من الطبيعي أن تمضي هذه الفترة الطويلة من الزمن دون أن يحصل في بلاد نجد المترامية الأطراف بادية وحاضرة أي نوع من الأوبئة والأمراض؟. الإجابة قد تكون صعبة، خصوصاً في ظل ندرة المصادر التي أرّخت لبلاد نجد في هذه الفترة. ونحن نعتقد أن البسام رغم حرصه وشمول تاريخه لهذه الفترة الزمنية التي غطت كل فترة الدراسة إلا أنه يبقى بشراً يفوت عليه أشياء، أو يهمل أشياء قد يرى عدم أهميتها، أو عدم تثبته من رواتها، أو عدم تصديقه لها، أو حصول مبالغة تجعله ينأى عن إثباتها في تاريخه. وقد تكون آثار بعض الأمراض محدودة لا تشجع المؤرخ على ذكرها، إلى غير ذلك مما يمكن أن يكون تعليلاً لمضي

هذه المدة الطويلة دون ذكر ما قد يكون وقع في بلاد نجد من الأوبئة والأمراض والله أعلم.

وفي عام ٩٨٤هـ كانت بلاد نجد على موعد مع وباء شديد أهلك خلائق كثيرة مما زاد من معاناة أهل البلاد النجدية إضافة إلى ما لحقهم من شدة الحال بسبب انتشار الجراد والدبى في هذه السنة في بلادهم كما أوضحنا ذلك سابقًا. وفي ظل غياب المعلومات اللازمة عن مدى شمولية هذا الوباء لكافة البلاد النجدية بادية وحاضرة، أو اقتصاره على منطقة محدودة، وفي ظل غياب الإحصاءات عن عدد من قضوا بهذا الوباء، أو حتى عن اسم هذا الوباء، يظل جهد الباحث ناقصًا ومقصورًا على الفرضيات. وعلى العموم؛ فإن مما لاشك فيه أن انتشار أي وباء أو مرض في بيئة محدودة الموارد الاقتصادية قليلة الإمكانات الصحية؛ فإن الشخص المطلع على نوعية الحياة في ذلك الوقت، الذي يتوقع مثل هذه الشدة سيذهب به تفكيره إلى تخيل وضع اجتماعي واقتصادي يعيش فيه الإنسان حياة بائسة شديدة، لكن من المؤكد أن صعوبة هذه الحياة وقسوتها يصعب على الأجيال الحاضرة تخيلها فضلاً عن تصديقها.

ورغم أن المؤرخين النجديين ركزوا في كتبهم على الأحداث التي تخص البلاد النجدية إلا أن تأثير بعض العوامل الكونية في البلاد المجاورة على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في بلاد نجد يجعل من الصعب على المؤرخ أن يتجاهل مثل تلك العوامل نظرًا للارتباط القبلي، والأسري، والتجاري، والديني، بين أجزاء الجزيرة العربية. ومن الأمثلة على ذلك ما ورد عن انتشار مرض الطاعون العظيم في بلاد العراق ونواحيها، في مستهل القرن الحادي عشر وتحديدًا في عام ١٠٠١هـ، وكان هذا الوباء شديد التأثير حيث لم يعهد مثله من قبل. (١٣٦) ومع إشارة المصادر إلى أن هذا المرض أفنى - بإرادة الله - خلقًا كثيرًا من أهل بغداد والبصرة، لكن عدم إيراد إحصاءات بعدد من ماتوا بهذا المرض، أو عن أشهر أسماء من قضوا بهذا الوباء يقلل من وَقْع تأثيره على الأجيال التالية. وفي روايته

لهذا المرض حدد البسام اسم هذا المرض وهو الطاعون، والذي ربما يقابل في زماننا الحاضر وباء الكوليرا، كما بيّن آثاره بوصفه بالعظيم. أما عن تأثيره على أحوال السكان في بلاد نجد ؛ فإن ما كان يحدث في بلاد العراق من أوبئة لا شك أنها تؤثر على بلاد نجد تأثيرًا سلبيًا وذلك للارتباط السكاني بين البلدين، حيث كانت بلاد العراق وخاصة البصرة والزبير ملاذًا لسكان البلاد النجدية عند حدوث الشدة كما أوضحنا ذلك في أكثر من مناسبة في هذه الدراسة. ومن ناحية أخرى؛ فإن طبيعة الأوبئة والأمراض وسرعة انتشارها بين البلاد المجاورة جعلت أهل بلاد نجد ينالهم قسطهم من آثار هذا المرض.

وبعد هذا الوباء بعشرين سنة، وتحديدًا في عام ١٠٢١هـ، شهدت بلاد نجد نفسها وباءً لم يُحدد المؤرخون النجديون نوعه، إلا أن تحديدهم للبلاد التي تأثرت به، وهي بلدان العارض والخرج، تنبئ بأنه وباء شديد، حيث كانت آثاره كالعادة موت عدد كبير من الناس لكن هؤلاء المؤرخين لم يحددوا عددهم كالعادة مما يفقد الباحث معلومات مهمة يحتاجها لتحليل الوضع الذي عاشته بلاد نجد وسكانها. (١٣٧) وعلى العموم؛ فإن عدم الإشارة إلى انتقال هذا الوباء إلى بلدان أخرى داخل منطقة نجد أو في البادية قد يفهم منه أنه أقل تأثيرًا مما حصل في بعض السنوات السابقة، لكن هذا لا يعني أن أهل البلاد لم يتأثروا به. ومرة أخرى فإن عدم تدوين إحصاءات عن عدد القتلى والمشوهين تقلل من تخيل مدى تأثيره على السكان، لكن هذا التأثير واقع لا محالة بسبب بدائية مقاومة الأمراض من جهة، وضعف مقاومة الناس له من جهة أخرى.

وكما ذكرنا سابقًا فقد حصل في عام ١٠٤٣هـ موت الخيل في مكة حتى لم يبق إلا فرس واحدة، لكن لم يُذكر سبب لموت الخيل أو نوع الوباء، وهل حصل للناس موت في هذه السنة، وهل تأثرت بهذا الوباء بلاد أخرى خارج مكة المكرمة ومنطقة الحجاز؟. هذه أسئلة تبقى حائرة في ظل نقص المعلومات. (١٣٨) أما بلاد نجد فقد ذكر ابن بشر ما حصل فيها من الوباء والقحط في عام ١٠٤٥هـ، وتحديدًا في بلدة

ملهم، التي رحل عنها أكثر أهلها من شدة هذا الوباء ونزلوا في العيينة. (١٣٩) ومثل ما حصل في روايات مؤرخين آخرين، لم يذكر ابن بشر معلومات مهمة عن هذا الوباء من حيث اسمه، وعدد من مات من الناس بإذن الله ثم بسببه، ومدى الآثار الاجتماعية والاقتصادية التي ترتبت على هذا الوباء.

وبعبارات مبهمة ذكر ابن ربيعة ما حصل في سنة ١٠٨٧هـ من كثرة الجراد وموت الناس. (١٤٠)والواقع أن ابن ربيعة لم يذكر أياً من المعلومات المهمة لتقييم الوضع الاقتصادي والاجتماعي، فلم يبين سبباً لهذا الموت، وهل كان بسبب وباء أو مرض معين، كما أنه لم يذكر البلاد التي كانت مجالاً لحدوث مثل هذه العوامل الكونية السلبية، مع أن البيئة التي تطرق إليها ابن ربيعة في تاريخه توحي بأن المقصود بها بلاد نجد.

وقبيل نهاية القرن الحادي عشر وبداية القرن الثاني عشر الهجري شهدت بلاد نجد سلسلة من الأوبئة والأمراض في مناطق مختلفة. ففي سنة ١٠٩٨هـ ذكر المنقور ما حصل في آخر هذه السنة من مرض في بلدة جلاجل لم يبين اسمه أو عدد من مات بإذن الله ثم بسببه، وقد اكتفى بالقول: "مات فيه محمد بن مبارك" (١٤١) دون أن يوضح من هو هذا الشخص، وهل كان له دور مباشر في تاريخ بلدة جلاجل، أو كان له منصب ديني أو مدني. وفي العام التالي ١٠٩٩هـ أخذت بلاد العارض نصيبها من هذه الأوبئة والأمراض، فبينما ذكر الفاخري وابن عيسى بعض التفصيلات عن الوباء الذي وقع في آخر هذه السنة، عندما ذكرا أنه مات بإذن الله ثم بسببه الشيخ عبد الله بن محمد بن ذهلان وأخوه عبد الرحمن، إلا أن المنقور ذكر ما أصاب البلاد من عوامل كونية أخرى لكنه اكتفى بذكر هذا المرض بقوله: "وفيها مرض الرياض". (١٤٢) وعلى العموم؛ فإن كلا الروايتين لم تأتيا بمعلومات مهمة يحتاجها الباحث من أجل إعطاء تصور كامل عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بلاد نجد وأثر العوامل الكونية عليها.

ومن الصدف العجيبة التي يجب الاعتبار بها أنه بعد قرن كامل على حدوث

وباء الطاعون العظيم في العراق عام ١٠٠١هـ حصل مثله وبالمكان نفسه وبالشدة نفسها الوباء في العراق، وهو مرض الطاعون العظيم في البصرة ونواحيها وفي بغداد في عام ١١٠١هـ. ولجسامة آثار هذا الوباء فقد أجمع على روايته المؤرخون النجديون على اختلاف في بعض التفاصيل. فقد ذكر الفاخري وقوع طاعون البصرة في العراق، وروى نقلاً عن محمد بن حيدر الموسوي أن هذا الوباء لم يعهد مثله لأنه أخلى البصرة وأخربها خرابًا لم تعمر بعده إلى وقت كتابة تاريخه، وأضاف أن هذا الوباء أهلك أمة من المسلمين في بغداد. (١٤٣) وقد ذكر كل من ابن بشر والبسام رواية الفاخري نفسها دون زيادة أو نقص ولكن مع اختلاف طفيف في العبارات. أما ابن ربيعة فقد وصفها بـ" وجبة البصرة" (١٤٤) وتعني الوباء العظيم. ولا شك أن وقوع مثل هذا الوباء له تأثير غير مباشر على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في بلاد نجد نظرًا للارتباط الاجتماعي والتجاري بين مناطق جنوب العراق وبلاد نجد، حيث اعتاد أهل نجد الارتحال إلى تلك المناطق للتجارة، أو للتبضع، أو كلما ضاقت بهم سبل العيش، أو أصابتهم شدة كما لا حظنا ذلك سابقًا. وعلى العموم ورغم عبارات التهويل التي ذكرها المؤرخون، إلا أنهم لم يدونوا بعض التفصيلات المهمة مثل الإحصاءات عن عدد من توفي بإذن الله ثم بسبب هذا الوباء، أو عدد من مرض ثم شفي، وكذلك مدى تأثر المناطق المحيطة بالبلاد الموبوءة وهل تأثرت بلاد نجد مباشرة بهذا الوباء؟. وحتى تظهر مثل هذه الإحصاءات والمعلومات عن هذا الوباء يبقى الباحث في دائرة الترجيح والقياس والمقارنة وهي محاولات لا تقنع القارئ الباحث عن الحقيقة والله أعلم.

وبالعبارات المبهمة نفسها روى المنقور ما حصل في عام ١١٠٢هـ من "وجبة البصرة . . . والوباء الكثير . . ." (١٤٥) وهو يشير إلى نوعين من الأوبئة أولهما وجبة البصرة التي عدّها المؤرخون النجديون، مثل الفاخري والبسام وابن بشر، من حوادث العام السابق ١١٠١هـ، وبالأخص ابن ربيعة الذي ذكر العبارة نفسها "وجبة البصرة". وعلى هذا؛ فإن المقصود بهذه الوجبة الوباء العظيم في البصرة

وبغداد الذي حدث في عام ١١٠١هـ كما أشرنا قبل قليل. وثانيهما "الوباء الكثير"، لكن المنقور لم يذكر اسمًا لهذا الوباء، كما أن وصفه بالكثير لا يتناسب مع طبيعة المرض الذي عادة ما يوصف بالشدة والقسوة وغيرها من الصفات. وفي عام ١١١١هـ اكتفى المنقور بذكر المرض الذي انتشر في هذا العام بقوله: "وفيها الجدري" (١٤٦) وهو مرض معروف يفني خلقًا كثيرًا بإذن الله، ويشوه أجسام من يسلم من الموت، وخاصة الوجه. وفي كلتا الروايتين هناك معلومات مهمة لم يوردها المنقور مثل عدد من توفوا بإذن الله ثم بسبب هذه الأمراض، وعدد المرضى الذين لم يموتوا لكنهم تأثروا بها جسميًا أو اجتماعيًا، وآثارها الاجتماعية والاقتصادية على البلاد والعباد، وأخيرًا لا بد من معرفة المناطق التي حدثت فيها هذا الأوبئة والأمراض. وفي الوقت الذي لا يمكننا الإجابة عن الأسئلة الأولى يمكن التأكيد بأن موطن انتشار هذه الأمراض هي البلاد النجدية لأن المنقور يؤرخ لمنطقة نجد ما لم ينص على خلاف ذلك والله أعلم.

وفي عام ١١٢١هـ وقع وباء في سدير ذكره الفاخري وابن بشر والمنقور وابن عيسى، لكن أيًا منهم لم يذكر اسمًا لهذا الوباء، ولم يبينوا سببًا له كالعادة، أو إحصاء للوفيات بإذن الله ثم بسببه، أو آثاره على الحالة الاجتماعية أو الاقتصادية. وقد ذكر كل من الفاخري وابن بشر والبسام وابن عيسى اسم أحد الذين ماتوا بإذن الله ثم بسبب هذا الوباء وهو الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن سلطان بن خميس أبا بطين العائذي، العالم الذي ألف مجموعًا في الفقه سماه (المجموع فيما هو كثير الوقوع). (١٤٧) أما المنقور فقد ذكر وقوع مرض بين البلدان لكنه لم يبين ما هي هذه البلدان التي انتشر فيها المرض، ولا اسم ذلك المرض، لكنه ذكر ممن مات فيه منصور بن جاسر مع ناس من الفضول. (١٤٨)

وفي عام ١١٢٤هـ عاود الوباء بلاد نجد، حيث انتشر في بلاد الوشم وسدير. ومع أن البسام وابن عيسى وصفاه بالوباء إلا أن المؤرخين النجديين الآخرين مثل الفاخري وابن بشر أسموه مرضًا لكنهم جميعًا لم يذكروا نوع هذا الوباء أو المرض.

ويبدو أنهم لا يهتمون باللفظ كثيراً فلا فرق عندهم بين المرض والوباء لأن آثارهما تبدو متشابهة في ظل محدودية الإمكانات الوقائية والصحية، لكن في حقيقة الأمر هناك فرق شاسع بين المرض المحدود التأثير في من يقعون تحت وطأته، وبين الوباء الذي ينتقل بين الناس وينتشر انتشاراً سريعًا في البلاد، وتكون آثاره في الغالب بعيدة المدى. ومن المهم عند الحديث عن آثار هذا المرض أن المؤرخين النجديين ذكروا البلاد التي انتشر فيها وهي بلاد ثرمدا والقصب ورغبة والبير والعودة، وهي تشكل منطقة واسعة في نجد في إقليمي الوشم وسدير. ومن غير شك؛ فإن آثاره الاجتماعية والاقتصادية والصحية ليست بسيطة في ظل الإمكانات المحدودة لمقاومة مثل هذا المرض. (١٤٩)

ولم تسلم المناطق الأخرى في بلاد نجد من ويلات وآثار الأوبئة والأمراض. ففي عام ١١٢٦هـ شهدت بلاد العارض وباء لم يذكر المؤرخون النجديون نوعه أو اسمه. وقد كان هذا الوباء شديداً بدليل ما نتج عنه من آثار قاسية، حيث مات بإذن الله ثم بسببه خلق كثير ذكر المؤرخون النجديون منهم الشيخ سليمان بن موسى الباهلي، والشيخ محمد بن الشيخ عبد الوهاب بن عبد الله بن عبد الوهاب الشرفي من المشارفة من الوهبة من تميم، والشيخ محمد بن علي بن عيد رحمهم الله تعالى. (١٥٠) ومع أن هذه الروايات تبدو أفضل من بعض الروايات السابقة، حيث ذكرت بعض المعلومات عن مكان وزمان هذا الوباء وأسماء بعض من ماتوا بإذن الله ثم بسببه، إلا أن الصورة الكاملة عن هذا الوباء لا تتم إلا بالنظر في أسباب هذا الوباء، والإحصاءات عن عدد من ماتوا بإذن الله ثم بسببه، والبلاد التي انتشر فيها والجهود التي تمت للوقاية منه، إن وجدت، وأخيراً الآثار الاجتماعية والاقتصادية والصحية التي ترتبت على هذا الوباء.

وفيما ذكر البسام وقوع مرض الطاعون في بلاد العراق في عام ١١٣١هـ إلا أنه تراجع في نهاية روايته عندما قال: "ورأيت في بعض التواريخ أن ذلك سنة ١١٣٢هـ" ولعله هو الصواب، حيث إنه يوافق روايات المؤرخين النجديين

الآخرين. (١٥١) وعلى الرغم من أن البسام وكذلك ابن عيسى ذكرا اسم هذا المرض، وهو مرض الطاعون، وأنه أهلك - بإذن الله - خلائق لا يحصيهم إلا خالقهم، إلا أن المؤرخين الآخرين أضافوا فائدة كبيرة تذكر لأول مرة وهي إحصاء بعدد من مات بسبب هذا المرض. فقد روى الفاخري وابن ربيعة وابن بشر عبارات متشابهة مفادها أنه في عام ١١٣٢هـ وقع الطاعون في العراق ومات فيه قدر تسعين ألفا. (١٥٢) ومع أن أياً من المؤرخين النجديين الذين ذكروا هذه الرواية لم يبينوا علاقة هذا المرض ببلاد نجد أو عن الآثار التي نتجت عنه إلا أن وروده في كتب أربعة من أشهر مؤرخي نجد يدل دلالة واضحة على الآثار غير المباشرة التي تأثرت بها بلاد نجد بهذا المرض خاصة، وبما يجري في بلاد العراق من عوامل كونية إيجابية أو سلبية بشكل عام، وكما ذكرنا سابقًا؛ فإن علاقة البلدين الاجتماعية والاقتصادية تبرر إيراد خبر مثل هذا المرض في تواريخهم الخاصة بنجد.

وفي عام ١١٣٧هـ ذكر ابن ربيعة خبر المرض الذي وقع في بلاد نجد بعبارات مبهمة وضمن حديث عابر عن عوامل كونية أخرى إيجابية وسلبية؛ حيث يقول: "سالت نجد وسميا . . . وكثرت السيول وخار الخير في كل موطن . . . ومات ناس كثير جوعًا ومرضًا، وكثر فيها الجراد . . . وغلا فيها الزاد وكثر فيها الجراد". (١٥٣) لكن ابن ربيعة على أية حال لم يورد أية تفصيلات عن اسم المرض أو البلدان التي انتشر فيها أو آثاره. ولعل القارئ يدرك بنفسه، من خلال الجدول المرفق، ومن خلال التحليل السابق واللاحق للعوامل السلبية الأخرى ما حصل في بلاد نجد في هذه السنة، ومنها يمكن رسم صورة كاملة للعوامل الكونية التي شهدتها هذه البلاد وما نتج عنها من آثار قاسية.

وبعد الوباء الذي انتشر في بلاد العارض عام ١١٢٦هـ كانت العيينة من بلاد العارض على وجه الخصوص على موعد مع وباء عظيم وقع فيها عام ١١٣٨هـ سماه الفاخري وجبة العيينة. وقد ذكر خبر هذا الوباء، بالإضافة إلى الفاخري، كل من ابن بشر والبسام وابن عيسى في عبارات متشابهة، حيث ذكر هؤلاء المؤرخون

أن هذا الوباء أفنى غالب سكان بلدة العيينة وخصوا منهم أمير بلد العيينة عبد الله ابن محمد بن أحمد بن عبد الله بن معمر، وابنه عبد الرحمن. (١٥٤) وعلى أية حال فإن هذه المعلومات -كما ذكرنا سابقًا- ليست كافية لرسم صورة عن طبيعة هذا الوباء وآثاره الاجتماعية والاقتصادية السلبية على بلاد نجد وأهلها، لكن القارئ يمكنه تصور مدى المعاناة التي عاشها أهل تلك البلاد من خلال دراسة جميع هذه الأوبئة والأمراض وآثارها.

وفي آخر ذكر للأوبئة في بلاد نجد خلال فترة الدراسة ذكر المؤرخون النجديون حدوث وباء في عام ١١٣٩هـ انتشر في البلدان ومات فيه عدد من الناس ذكر منهم، الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن محمد بن حسن بن أحمد بن حسن بن سلطان، الملقب القصير الوهيبي التميمي، وعمه محمد بن محمد بن حسن بن أحمد بن حسن بن سلطان، الملقب القصير، والشيخ أحمد بن عثمان بن عثمان بن علي الملقب الحصيني الوهيبي التميمي رحمهم الله. والحصيني المذكور من آل بسام بن منيف. (١٥٥) ومع أن هذه الرواية تؤكد مدى استفحال هذا الوباء في بلاد كثيرة، لكن هذه الرواية لا تزال غير كافية في إعطاء صورة واضحة عن مدى معاناة السكان في هذه البلاد التي حل بها هذا الوباء، وبالأخص عدم ذكر بلد بعينه، ولا إحصاءات بعدد من مات، ولا عن آثاره الاجتماعية والاقتصادية، ومن هنا لا يستطيع الباحث أن يرسم صورة واضحة عن الآثار الصحية والاقتصادية التي تعرضت لها هذه البلاد التي أصابتها الأوبئة والله أعلم.

خاتمة واستنتاجات:

من خلال العرض السابق للعوامل الكونية التي شهدتها بلاد نجد والتي أثرت على أحوال السكان بشكل مباشر أو غير مباشر خلال فترة الدراسة التي امتدت من عام ٨٥٠هـ حتى عام ١١٥٧هـ يمكن أن نستخلص المعطيات والاستنتاجات التالية:

أولاً: أن هذه الدراسة تعتمد بشكل أساسي على روايات المؤرخين النجديين

المعاصرين لأحداث الفترة الزمنية لهذه الدراسة أو الذين نقلوا عن معاصريها، إلا أننا نلاحظ أنه على الرغم من أن هؤلاء المؤرخين بدأوا تدوين الأحداث في بلاد نجد في وقت مبكر، حيث بدأ ابن عيسى تدوين الأحداث في بلاد نجد منذ عام ٧٠٠هـ، بينما نجد أن كلاً من الفاخري وابن بشر والبسام بدأوا تدوين الأحداث منذ عام ٨٥٠هـ بينما بدأ ابن ربيعة منذ عام ٩٤٨هـ والمنقور بدأ منذ عام ١٠٤٤هـ، إلا أن أغلب رواياتهم عن الأحداث الكونية جاءت متأخرة قرابة قرنين من الزمن. وباستثناء البسام الذي بدأ تسجيل الحوادث الكونية في عام ٨٥٦هـ نجد أن روايات المؤرخين الآخرين للأحداث الكونية جاءت متأخرة عن ذلك التاريخ. فابن بشر بدأ تدوين الحوادث الكونية منذ عام ١٠٢٧هـ، لكن كلاً من ابن ربيعة والمنقور والفاخري وابن عيسى لم يبدأوا في تدوين تلك الحوادث إلا في عام ١٠٤٦هـ للأول وعام ١٠٤٧هـ للباقين. وخلاصة القول إن هناك سنوات طويلة من الفترة التي غطتها هذه الدراسة، وهي الفترة الممتدة من عام ٨٥٦هـ حتى عام ١٠٢٧هـ اعتمدت بشكل كلي على روايات البسام لوحده، بينما بدأ الاعتماد على رواية ابن بشر منذ عام ١٠٢٧هـ حتى عام ١٠٤٧هـ حيث اكتمل عقد المؤرخين النجديين الذين غطّوا بقية فترة الدراسة. ومع أن رواية البسام جيدة ودقيقة إلا أن الاعتماد عليها لوحدها قد يحتمل أوجه نقص غير مقصودة، لأنه قد يفوت عليه بعض الأحداث، أو قد لا يرى بعضها مهماً فلا يوردها في كتابه. وعلى كل؛ فإن الاعتماد على رواية البسام لوحدها هو الأمر الواقع في ظل غياب روايات أخرى وهو أمر يدخل في موضوع مهم، تناوله كثير من الباحثين في تاريخ نجد، وهو الشح في المصادر المحلية لتاريخ بلاد نجد في تلك الفترة وما قبلها وما بعدها حتى قيام الدولة السعودية. (١٥٦)

ثانيًا: يلاحظ، من خلال هذه الدراسة والجدول المرفق، أن الصفة العامة لحياة السكان في بلاد نجد خلال هذه الفترة كانت قاسية بكل المعايير. فعلى الرغم من مرور فترات خصب نتيجة لهطول الأمطار وما نتج عنها من رخص في الأسعار، إلا

أن ما رافق ذلك أو تلاه من القحط والغلاء، وانتشار الأوبئة، وتسلط الجراد والدبى، وسقوط البَرَد، واشتداد البَرْد، وهبوب الرياح العاتية، يجعل الصفة العامة لهذه الفترة هي القسوة والشدة والمعاناة التي عاشها سكان هذه البلاد. وحيث إن هذه الدراسة لا تتحدث عن وجود أو حصول العوامل الكونية فقط، وإنما تشمل بالإضافة إلى ذلك، وهو المهم، الآثار الإيجابية والسلبية التي نتجت عن هذه العوامل، وطبيعة هذه الآثار وانعكاساتها على المجتمع بصفة عامة، ولذلك فإنه يجب التأكيد على الشمولية في دراسة آثار العوامل الكونية وليس دراسة حالات معينة. وبعبارة أدق يجب مقارنة فترات تأثير العوامل الإيجابية مع تأثير العوامل السلبية مجتمعة وفي فترات مختلفة من أجل رسم صورة واقعية لما كانت عليه أحوال السكان في تلك الفترة. وبصفة عامة؛ فإن المطلع على أحوال السكان في بلاد نجد من خلال هذه الدراسة وغيرها ليستغرب أشد الاستغراب كيف يستطيع شعب مثل سكان البلاد النجدية الذين تعتمد حياتهم - بعد الله- على نزول الأمطار، أن يعيش مدة طويلة من انحباس الأمطار وما يترتب عليها من قلة المرعى والعشب. وللمرء أن يتخيل الآثار التي تحصل في مجتمع محدود الموارد، شحيح المياه، قليل السكان، معدوم من الآلات الحديثة للزراعة، متذبذب الاقتصاد، وكيف يستطيع مقاومة مثل هذه الآثار الكونية السلبية.

ثالثًا: أن وصف البلاد النجدية في هذه الفترة بالقسوة والشدة، ووصف حالة السكان فيها بالعوز ونقص الإمكانات المعيشية، وتأثرهم السلبي بالعوامل الكونية لا يعني التعميم الكلي. فهناك من الدلائل، التي روتها المصادر النجدية، ما يفيد قيام حملات تجارية لأهل نجد إلى البلاد المجاورة المتصلة بالعالم الخارجي، لكن ذلك لا يتعارض مع تأثرهم بالعوامل الكونية وقسوتها. والواقع أن بلاد نجد في تلك الفترة كان فيها عدد من الرجال والبيوت الغنية، وهم موجودون في كل زمان ومكان، لكن عددهم وإمكاناتهم كانت مسألة نسبية، ولا يمكن مقارنتها بالدول المجاورة لبلاد نجد في ذلك الوقت.

رابعًا: من خلال هذه الدراسة، وبنظرة سريعة في الجدول المرفق، يتبين مرور سنوات وفترات معينة، لم يدون المؤرخون النجديون خلالها أي شيء عن العوامل الكونية وآثارها مما قد يوحي بأن هذه البلاد لم يحصل فيها مثل هذه العوامل الكونية مجتمعة أو متفرقة. وبخلاف السنوات التي تقل عن العشر؛ فإن هناك فترات تزيد على ذلك لم يذكر المؤرخون النجديون فيها حدوث أي نوع من العوامل الكونية، الإيجابية أو السلبية، مما كان محل الاستغراب. ومن الأمثلة على ذلك الفترات التالية: ٩٠٠-٩٠٩هـ، ٩١٨-٩٢٩هـ، ٩٤٢-٩٥٢هـ، ٩٥٦-٩٦٨هـ ٩٧١-٩٨٣هـ، ٩٨٥-٩٩٦هـ، ٩٩٨-١٠٠٨هـ، ١٠١٠-١٠٢٠هـ. أما الفترات التي مضت دون أن يذكر المؤرخون النجديون تكرار عامل معين فأطول من ذلك بكثير، وقد تصل أحيانًا إلى قرن أو أكثر. وبالاطلاع السريع على الجدول المرفق يمكن أخذ صورة واضحة عن هذه الفترات. وقد أوردنا كلا الفترتين في الجدول المرفق؛ لأن ذلك أمر مهم لتحليل أثر العوامل الكونية الإيجابية والسلبية أو عدم حدوث أي منهما.

مع التأكيد أن السبب لم يكن تقصيرًا منهم بل كان مرده أنهم لا يسجلون من الحوادث إلا ما كان مهمًا أو كان قريبًا منهم، أما ما كان من الأمور المعتادة أو حصل في بلاد بعيدة ولم يعلم به هؤلاء المؤرخون لم يكونوا يدونونه في كتبهم، وثانيهما أن بقاء هذه السنوات في الجدول يبين الفترات التي لم يذكر فيها المؤرخون النجديون أية عوامل كونية أو ذكروا بعضها، وهو أمر مهم لتحليل تلك العوامل.

وإذا كان إغفال ذكر حدوث بعض العوامل الكونية مثل الرياح الشديدة أو البَرَد أو البَرْد قد يحتمل التفسير بمحدودية تأثيره وسرعة زوال آثاره وتباين وجهات النظر في وصفه ومدى أهمية إيراد رواياته؛ فإن هناك ظاهرة بارزة مستغربة يمكن أن تستنتج من هذه الدراسة، وهي عدم ذكر المؤرخين النجديين للعوامل الأكثر انتشارًا في دائرة الزمان والمكان وهي القحط والجدب وما يترتب عليهما من غلاء الأسعار وكذلك الخصب وما يترتب عليه من رخص الأسعار، ثم هناك ظاهرة أكثر

استغرابًا، وهي خاصة بعامل واحد وهو الأوبئة والأمراض، حيث انقضى أكثر من قرن من الزمان (٨٧٠-٩٨٤هـ) دون أن يذكر المؤرخون النجديون حصول أوبئة أو أمراض في بلاد نجد، في وقت حصلت فيه مثل هذه الأمراض في سنوات متتالية في الفترات السابقة واللاحقة لهذا القرن المشار إليه. ومع استحالة عدم حصول أوبئة أو أمراض في بلاد نجد خلال ذلك القرن بسبب طبيعة المجتمع، وقلة إمكاناته المادية، وضعف المستوى الصحي لدى السكان، وتأثرهم بما يجري في بلاد أخرى، وحصول أوبئة وأمراض في مجتمعات أكثر تحضرًا، وهي مؤشرات توحي باستحالة خلو بلاد نجد من الأمراض خلال تلك الفترة.

والواقع أن بروز هذه الظواهر قد يحمل غير المتخصصين في تاريخ نجد على اتهام المؤرخين النجديين، والمصادر والمراجع النجدية بعدم الشمولية في تغطية العوامل الكونية التي تحصل في بلاد نجد لأنه من المستغرب أن تمضي سنوات، قليلة كانت أو كثيرة، دون أن يحصل في بلاد نجد أي نوع من تلك العوامل. ولهذا السبب بالذات؛ فإن من الواجب علينا استقصاء الأسباب المحتملة لهذا الإغفال، ليس دفاعًا عن هؤلاء المؤرخين بقدر ما هو دراسة لتلك الأسباب وبالتالي إعطاء المجال للقارئ لكي يعذر هؤلاء المؤرخين عن حصول أي نقص أو إغفال.

ولتلمس التعليل المنطقي لهذه الظواهر، وفي غياب الدراسات والتحليلات الواقعية عن مثل هذه العوامل، وعن أحوال البلاد النجدية خلال هذه الفترة بصفة عامة؛ فإنه يمكن أن نرجع ذلك إلى اهتمام المؤرخين النجديين بالأحداث السياسية أكثر من اهتمامهم بالنواحي الاجتماعية والاقتصادية. أما الحوادث الكونية فإنهم لا يهتمون منها إلا بالأحداث الكبيرة ذات التأثير العام في المجتمع، وإهمالهم ما هو أمر شائع الحدوث وقليل التأثير. ويدل على ذلك أن هؤلاء المؤرخين النجديين يلاحقون الأخبار المهمة، ويسجلون ما كانت آثاره شديدة حتى ولو كان خارج بلادهم مثل ما حصل في بلاد الحجاز والعراق واليمن. وهناك سبب قوي ومهم في هذا المجال وهو أن هؤلاء المؤرخين كانوا يهتمون ويدونون في كتبهم ما كان قريبًا

منهم، ويجب في هذا المجال، أن نأخذ في الحسبان صعوبة المواصلات وتباعد البلاد مما يقلل من فرصة جمع الروايات والتأكد منها، فإذا عرفنا بالتالي أن أغلب المؤرخين النجديين كانوا يقطنون في بلاد سدير وما حولها أدركنا السبب في عدم إيرادهم من أخبار العوامل الكونية إلا ما يحصل في تلك البلاد فقط، أو كان أمراً اشتهر في البلاد الأخرى. وأخيراً؛ فإن من أهم الأسباب أن الفترة الأولى من هذه الدراسة كان مصدرها الوحيد مؤرخ واحد هو البسام بينما بدأ المؤرخون الآخرون تسجيل الحوادث في فترة لاحقة، كما أوضحنا سابقًا. ولا شك أن مؤرخًا واحدًا لايمكن أن يحيط بكل ما يجري في بلاد نجد.

خامسًا: من الأمور الملاحظة في المصادر التي اعتمدت عليها هذه الدراسة قلة الإحصاءات التي تعين الباحث على رسم صورة شاملة ودقيقة للنواحي الاجتماعية والاقتصادية التي تهم سكان المجتمع النجدي في تلك الفترة. وبخلاف ما حصل في فترة الدولة السعودية الأولى والثانية وهي الفترة اللاحقة لهذه الدراسة(١٥٧)؛ فإن روايات المؤرخين النجديين الذين دونوا أحداث هذه الفترة تكاد تخلو من مثل هذه الإحصاءات. وباستثناء ما أورده بعض المؤرخين من إحصاءات لأسعار بعض الأطعمة الأساسية في بعض السنوات في حالات الرخص أو الغلاء مثل ما حصل في السنوات التالية: ١٠٩٦هـ، ١٠٩٩هـ، ١١٢٥هـ، ١١٢٧هـ، ١١٣٣هـ؛ فإن هذه الروايات على قلتها لا تشفي غليل الباحث، مما يجعله يجتهد في تحليل أثر العوامل الكونية على المجتمع من خلال تأثيرها على الزراعة والرعي، أو تأثر الإنسان بها مباشرة مثل الأوبئة والأمراض. كما أن هذه الروايات تخلو من إحصاءات أخرى تتعلق بهذه الدراسة وتثريها مثل عدد الوفيات بالأوبئة والأمراض مما يجعل الحديث عن هذه الأوبئة يأخذ مجرى نظرياً لا يعتمد على قرائن أهمها الإحصاءات.

سادسًا: من الأمور التي تسترعي الانتباه، وقد تطرح تساؤلات، هو حصول عوامل كونية متناقضة في السنة الواحدة، كأن يحصل خصب وجدب أو رخص

وغلاء. ومع إرادة الله؛ فإن مما لا شك فيه أن الطبيعة الصحراوية للبلاد، والمناخ المتقلب فيها، قد يفسر مثل هذا التناقض. وبنظرة سريعة إلى الجدول المرفق، الذي يعكس المعلومات الواردة في هذه الدراسة، نجد أمثلة لما حصل من هذا التناقض في عام ١٠٨٦هـ حيث حصل خصب وغلاء، وفي عام ١٠٩٦هـ حصل رخص وغلاء، وفي عام ١١٠٠هـ حصل خصب وغلاء، وفي عامي ١١٣١هـ و ١١٣٧هـ حصل خصب وقحط.

سابعًا: مما يلاحظ على روايات المؤرخين النجديين الذين دونوا أحداث العوامل الكونية وآثارها على البلاد النجدية خلال فترة الدراسة هو تشابه صيغ العبارات التي يوردها كل واحد منهم عن عامل واحد أو أكثر من العوامل الكونية. كما يلاحظ على رواياتهم عدم ثباتهم على صيغة واحدة لوصف بعض العوامل الكونية أو آثارها مثل وصفهم السيول بعبارات مرادفة للأمطار بينما تعني في أحيان أخرى السيول الجارفة.

ثامنًا: ومن الاستنتاجات التي تستوقف القارئ أن كثيرًا من الناس، وخاصة الفقراء منهم، كانوا يعيشون عيشة الكفاف في ظل أثر العوامل الكونية، وأن منهم من مات جوعًا. أما من سلم من سكان البلاد النجدية من الفاقة والجوع والموت فقد تدارك نفسه وارتحل مضطراً إلى البلاد المجاورة مثل الأحساء والبصرة والزبير، وهي المناطق المألوفة لأهل نجد عندما لا يستطيعون البقاء في بلادهم بسبب عدم قدرتهم على تحمل آثار العوامل الكونية. وقد تحدثنا، خلال هذه الدراسة، بشيء من الإسهاب والتحليل عن الظروف والملابسات التي دفعت هؤلاء السكان إلى الارتحال عن بلادهم كما حصل على سبيل المثال في سنوات ٨٦٨هـ، ٨٦٩هـ، ٩٣٩هـ، ١٠٤٧هـ، ١٠٨٥هـ، ١٠٨٦هـ، ١١١٤هـ، ١١٢٨هـ، ١١٣٦هـ. ومن خلال العرض السابق الذي يبين بجلاء الآثار القاسية للعوامل الكونية السلبية نجد لهؤلاء السكان العذر في السعي للحصول على لقمة العيش التي عزت في بلادهم إلى درجة الانعدام. ويجب التأكيد أن ارتحال البعض منهم عن بلادهم لم يكن

لجلب المزيد من كماليات الحياة، وإنما هو ارتحال من الشدة إلى الرخاء، ومن الأوبئة والأمراض إلى الصحة، وبعبارة أدق من الموت إلى الحياة. ومن يقرأ الصفحات السابقة بإمعان، ومن يتخيل بلدًا، بل بلادًا، حصل فيها انعدام الأمن، وقلة المرعى، وجفاف الآبار، وقلة المحاصيل، وانتشار الأوبئة، سيتعجب من صبرهم وجلدهم وسيجد لهم العذر في ارتحالهم المؤقت أو الدائم. أما من بقي من السكان، في ظل هذه العوامل القاسية وآثارها الشديدة، وتحملوا قسوة الحياة ولهيب الحر وغلاء المعيشة، فكان بقاؤهم ليس رغبة في العيش في مثل هذه الظروف، بل كان السبب الوحيد لبقائهم هو حبهم لأرضهم وبلادهم، ويقينهم برحمة الله وأن مع العسر يسرًا منتظرين الفرج من الله سبحانه وتعالى.

تاسعًا: ومن الملحوظات التي يمكن أن تستنتج من هذه الدراسة تركيز المؤرخين النجديين على بلاد معينة مثل العارض وسدير وما حولها من البلاد. ويرجع السبب في ذلك إلى أن بعض هؤلاء المؤرخين عاشوا في تلك البلاد منذ صغرهم أو ارتحلوا إليها بعد ذلك. يضاف إلى ذلك محدودية وسائل الاتصال ونقل الأخبار، والأمانة العلمية التي تحلى بها هؤلاء المؤرخون في عدم نقلهم الأخبار ما لم يتأكدوا من حدوثها، أو ينقلوها عن ثقات عايشوها. ومع ذلك؛ فإن تقارب البلاد النجدية، ووقوعها تحت تأثير عوامل مناخية متشابهة يعني ضمنًا تأثر مناطق أخرى من بلاد نجد بالعوامل الكونية الإيجابية والسلبية التي تحدث في البلاد المجاورة.

عاشرًا وختامًا: هذه جولة متواضعة في حياة سكان بلاد نجد خلال ما يقارب ثلاثة قرون أردت منها الإسهام في خدمة هذه البلاد الحبيبة وشعبها الوفي؛ فإن وفقت فهذا أملي ولا منة لي، وإن كان هناك قصور فإن الكمال لله وحده. على أنه يجب التنبيه إلى شح المعلومات وتناقضها واقتصارها على البلاد التي عاش فيها المؤرخون النجديون الذين اعتمدت هذه الدراسة على رواياتهم، بالإضافة إلى صعوبة المواصلات وبدائيتها. وكلي أمل أن تشحذ هذه الدراسة همم المشتغلين بالتاريخ، والجغرافيا، والاجتماع، وكل المهتمين بهذه البلاد خاصة، والبلاد

المجاورة عمومًا، وأن يبذلوا جهودهم، ويدلوا بلدوهم حتى ولو كان ماؤه قليلاً لأنه أفضل من التمني وأجدى من انتظار من يقوم بهذا العمل من خارج بلادهم، والله من وراء القصد وهو الذي بنعمته تتم الصالحات، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

أولاً: مصادر الدراسة ومراجعها حسب أقدمية مؤلفيها.

- المنقور، أحمد بن محمد التميمي النجدي (١٠٦٧-١١٢٥هـ)، تاريخ الشيخ أحمد بن محمد المنقور، حققه ونشره الدكتور عبد العزيز الخويطر، الطبعة الأولى، الرياض ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.
- ابن ربيعة، محمد بن ربيعة العوسجي الدوسري (توفي عام ١١٥٨هـ)، تاريخ ابن ربيعة، دراسة وتحقيق الدكتور عبد الله بن يوسف الشبل، النادي الأدبي، الرياض، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- الفاخري، محمد بن عمر (١١٨٦-١٢٧٧هـ)، الأخبار النجدية، دراسة وتحقيق وتعليق الدكتور عبد الله بن يوسف الشبل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، د.ت.
- ابن بشر، عثمان بن عبد الله (١٢١٠-١٢٩٠هـ)، عنوان المجد في تاريخ نجد، جزآن، حققه وعلق عليه عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، دارة الملك عبد العزيز، الطبعة الرابعة، الرياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- آل بسام، عبد الله بن محمد بن عبد العزيز (توفي عام ١٣٤٦هـ تقريبًا)، مخطوط تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، نقله عن الأصل الخطي نور الدين شريبة، سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م.
- ابن عيسى، إبراهيم بن صالح (١٢٧٠-١٣٤٣هـ) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٣٨٦هـ.

ثانيًا: المصادر والمراجع الثانوية للبحث بحسب أبجديتها.

- ابن خميس، عبد الله، معجم اليمامة، ج١، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، أربعة عشر مجلدًا، دار صادر، بيروت، د.ت.
- الخضيري، محمد بن سليمان، "العوامل الكونية وآثارها على أحوال السكان في بلاد نجد ١١٥٨-١٣٠٩هـ دراسة من خلال المصادر النجدية المعاصرة"، مجلة الدارة، العدد الأول، المحرم ١٤١٧هـ، السنة الثانية والعشرون.
- الخويطر، عبد العزيز بن عبد الله، عثمان بن بشر منهجه ومصادره، مطابع اليمامة، الطبعة الثانية، الرياض ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
- دحلان، أحمد بن زيني، خلاصة الكلام في بيان أمراء البيت الحرام، الطبعة الأولى، مصر ١٣٠٥هـ.
- الريحاني، أمين، تاريخ نجد وملحقاته، مؤسسة دار الريحاني، بيروت، ١٩٧٠م.
- السباعي، أحمد، تاريخ مكة، دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، الطبعة الرابعة، نادي مكة الثقافي، مكة المكرمة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- صحيفة الرياض العدد ١٠٠٧٨، تاريخ السبت ٧ رمضان ١٤١٦هـ/ ٢٧ يناير ١٩٩١م.
- العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، أربعة أجزاء، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ١٣٧٩هـ.
- لوريمر، ج.ج.، دليل الخليج، القسم التاريخي، الجزء السادس، مكتب سمو أمير دولة قطر، الدوحة، ١٩٧٦م.

- النص، عـزة، "المزاج الطبيعي لمنطقة نجد"، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، المجلد الأول، السنة الأولى، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.
- الوردي، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٩م.

الهوامش:

(١) انظر هذا البحث وهو بعنوان " العوامل الكونية وأثرها على أحوال السكان في بلاد نجد في الفترة (١١٥٨-١٣٠٩هـ)" في مجلة الدارة، العدد الأول، المحرم ١٤١٧هـ، السنة الثانية والعشرون، ص ص ٣١-١١٠ .

(٢) عن التقلبات في العوامل المناخية في البيئة الصحراوية وآثارها ممثلة بمنطقة نجد انظر : النص، عزة، "المزاج الطبيعي لمنطقة نجد"، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، المجلد الأول، السنة الأولى، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، ص ص ٩-٣٢ .

(٣) آل بسام، عبد الله بن محمد بن عبد العزيز (ت. ١٣٤٦هـ تقريبًا)، تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، نقله عن الأصل الخطي نور الدين شريبة، سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م، الورقة ١٥ .

(٤) هناك اختلاف في رسم هذه الكلمة بين المؤرخين المعاصرين لفترة البحث، وكذلك بين المؤرخين المحدثين بين من يجعلها بألف ممدودة بهمزة، أو ممدودة بدون همزة، أو مقصورة. وخروجًا من الخلاف سنرسمها في هذا البحث اعتمادًا على ما ورد في كتاب لسان العرب حيث ورد في تعريفها ورسمها ما يلي : "الدبا جمع دباة : وهو بألف مقصورة الجراد قبل أن يطير، وقيل هو نوع يشبه الجراد . الجراد أول ما يكون سرو، وهو أبيض، فإذا تحرك واسود فهو دبى قبل أن تنبت أجنحته . انظر : مادة دبى في ابن منظور، لسان العرب، ٢٤٨/١٤ دار صادر، بيروت، د.ت . ويذكر ابن بشر، عثمان بن عبد الله (١٢١٠-١٢٩٠هـ)، عنوان المجد في تاريخ نجد، حققه وعلق عليه عبدالرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، الطبعة الرابعة، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ١٠٥/١، بأنه المعروف بالجندب . والخيفان : هو ما تولد من الجراد .

(٥) انظر المبحث الذي يركز على الجدب والغلاء، وهي من أهم العوامل السلبية .

(٦) البسام، المرجع السابق، الورقة ١٦ .
(٧) انظر مبحث الأوبئة والأمراض في الصفحات التالية.
(٨) البسام، المرجع السابق، الورقة ١٨ .
(٩) عن هذه الأمراض وتسلط الجراد انظر المباحث الخاصة بها في هذه الدراسة، أما عن نزول الأمطار وآثارها فانظر: البسام، المرجع السابق، الورقتان ١٨-١٩ .
(١٠) البسام، المرجع السابق، الورقة ٢٠ .
(١١) عن طبيعة العوامل الكونية في هاتين السنتين، وخاصة الأمطار راجع: البسام، المرجع السابق، الورقة ٢٠ .
(١٢) البسام، المرجع السابق، الورقة ٢٤ .
(١٣) البسام، المرجع السابق، الورقة ٢٦ .
(١٤) البسام، المرجع السابق، الورقة ٢٥ .
(١٥) البسام، المرجع السابق، الورقة ٢٨ .
(١٦) البسام، المرجع السابق، الورقة ٣٠ .
(١٧) البسام، المرجع السابق، الورقة ٣٢ .
(١٨) انظر عن هذه الحالة البسام، المرجع السابق، الورقة ٣٥ . ومعنى حار الحاير: أي امتلأ الحاير أي السد، وهو كناية أو وصف لغزارة الأمطار.
(١٩) البسام، المرجع السابق، الورقة ٤٠ .
(٢٠) البسام، المرجع السابق، الورقة ٤٣ .
(٢١) البسام، المرجع السابق، الورقة ٥٢ .
(٢٢) البسام، المرجع السابق، الورقة ٥٣ .
(٢٣) البسام، المرجع السابق، الورقة ٥٥ .
(٢٤) البسام، المرجع السابق، الورقة ٥٦ .
(٢٥) ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣١٢-٣١٩ .
(٢٦) المنقور، أحمد بن محمد التميمي النجدي، (١٠٦٧-١١٢٥هـ)، تاريخ

الشيخ أحمد بن محمد المنقور، حققه ونشره الدكتور عبد العزيز الخويطر، الطبعة الأولى، الرياض ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م ص ٥١ . هكذا وردت، ولم يورد أي من المؤرخين النجديين الآخرين هذا الوصف في هذه السنة، ولعل المقصود ربيع الخير، لأنه أقرب إلى الفهم.

(٢٧) البسام، المرجع السابق، الورقة ٧٢ .

(٢٨) المنقور، المصدر السابق، ص ٥٢ .

(٢٩) الفاخري، محمد بن عمر (١١٨٦-١٢٧٧هـ)، الأخبار النجدية، دراسة وتحقيق وتعليق الدكتور عبد الله بن يوسف الشبل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، د.ت، ص ٧٤: المنقور، المصدر السابق، ص ٥٢: ابن عيسى، إبراهيم بن صالح (١٢٧٠-١٣٤٣هـ) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٣٨٦هـ. ص ص ٦١-٦٢ .

(٣٠) ابن ربيعة، محمد بن ربيعة العوسجي الدوسري (ت. ١١٥٨هـ)، تاريخ ابن ربيعة، دراسة وتحقيق الدكتور عبد الله بن يوسف الشبل، النادي الأدبي بالرياض، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٦٩: الفاخري، المرجع السابق، ص ٧٦: ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٣٣: البسام، المرجع السابق، الورقة ٧٥ .

(٣١) ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٣٤: البسام، المرجع السابق، الورقة ٧٥ .

(٣٢) المنقور، المصدر السابق، ص٥٦: الفاخري، المرجع السابق، ص ٧٧ .

(٣٣) ثادق قاعدة المحمل عمرت سنة ١٠٧٩هـ. والصفرات، والبير تدعى اللهزوم. وتقع البير جنوبي الصفرات، وقد عمرت سنة ١٠١٥هـ. انظر: ابن خميس، عبد الله، معجم اليمامة، ج١، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ص ص ١٩٢-١٩٣، ٢٢١-٢٢٤: الريحاني، أمين، تاريخ نجد وملحقاته، مؤسسة دار الريحاني، بيروت، ١٩٧٠م، ص ٢٧ .

(٣٤) ابن ربيعة، المصدر السابق، ص ٧٢ .

(٣٥) المنقور، المصدر السابق، ص ٦١ . الوزنة: تساوي كيلو جرام ونصف تقريبًا. والمحمدية: عملة عثمانية تساوي خُمس أو رُبع ريال، وهي نقد كان يتعامل به أهل نجد في ذلك الوقت.

(٣٦) الفاخري، المرجع السابق، ص٨٠ . والفقع هو الكمأة وجمعه كمء (وهو نبات فطري معروف). انظر تعليق الشبل على مخطوط الفاخري ص ٨٠، هامش ٩ .

(٣٧) ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٢٣٩: ابن عيسى، المرجع السابق، ص ٧٠ .

(٣٨) الفاخري، المرجع السابق، ص ٨٢ . والأحمر نقد من الذهب بمنزلة الريال كان يتعامل بها أهل نجد وغيرهم في تلك الفترة، والمحمدية كما ذكرنا سابقًا تساوي خمس أو ربع ريال. يقول عبد الملك العصامي في الجزء الرابع من تاريخه المسمى سمط النجوم العوالي ص ٥٤٥-٥٤٦ في حديثه عن سنة ١٠٩٥هـ: وفيها تضرر السادة من علو سعر الذهب ووصول الأحمر إلى ثمانية حروف وربع وبسببه غلت الأسعار. وبهذا يكون الحرف نوع من الدراهم.

(٣٩) انظر المنقور، المصدر السابق، ص ٦٤: ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٤٢: البسام، المرجع السابق، الورقة ٨٠: ابن عيسى، المرجع السابق، ٧٢ .

(٤٠) الفاخري، المرجع السابق، ص٨٢ . ويذكر في الصفحة نفسها أن "الحرف من الدراهم الذي يتعاملون بها في زمانهم. والوسق ستون صاعًا بصاع العارض". انظر كذلك: ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٤١ .

(٤١) ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٤٣ .

(٤٢) المنقور، المصدر السابق، ص ٦٦ .

(٤٣) الفاخري، المرجع السابق، ص ٨٦: المنقور، المصدر السابق، ص ٧١: ابن ربيعة، المصدر السابق، ص ٧٨ .

(٤٤) الفاخري، المرجع السابق، ص ٩٢ : ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٥٤ : المنقور، المصدر السابق، ص ٧٩ .

(٤٥) المنقور، المرجع السابق، ص ٧٤، ٧٥، ٧٨، ٨٠، ٨١ .

(٤٦) ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٥٩ . انظر كذلك الفاخري، المرجع السابق، ص٩٤ .

(٤٧) المنقور، المصدر السابق، ص٨٢: ابن عيسى، المرجع السابق، ص ٨٩ .

(٤٨) الفاطر هي الكبيرة من أنثى الجمال.

(٤٩) جديدة: نوع من العملة أقل من ربع ريال.

(٥٠) الصواب في رسم كتابة الأعداد هو الفصل بين العدد وكلمة مئة مع حذف الألف من مئة. ورد ذلك في قرارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته السادسة والعشرين. انظر تعقيب للشيخ حمد الجاسر على هذا الموضوع في صحيفة الرياض العدد ١٠٠٧٨ في يوم السبت ٧ رمضان ١٤١٦هـ/ ٢٧ يناير ١٩٩١م.

(٥١) انظر عن هذه الأسعار، وحالة الخصب في هذه السنة كل من: الفاخري، المرجع السابق، ص ٩٥ : ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٥٩-٣٦٠ : البسام، المرجع السابق، الورقة ٩٣ ابن عيسى، المرجع السابق، ص٩٠، وهنا يجب ملاحظة خطأ في كتاب ابن بشر في هذه النسخة التي اعتمدنا عليها في هذا البحث، حيث ذكر فيها أن سعر التمر بلغ وزنة بأحمر، بينما الصواب، وهو ما ورد في النسخة التي نشرتها وزارة المعارف سنة ١٣٩٤هـ ج٢، ص٢٣١ أن سعر التمر بلغ مئة وزنة بأحمر وهو يوافق رواية الفاخري.

(٥٢) مرض الطاعون يعود إلى عهد قديم جداً، وقد سجلت حالات من هذا المرض منذ القرن الثالث قبل الميلاد. وفي القرن السادس الميلادي عانت بلاد أوربا من هذا المرض. وفي العصور الوسطى كان هذا المرض منتشرًا في أوربا بشكل كبير. وفي القرن الرابع عشر انتشر هذا المرض تحت اسم الموت الأسود

في البلدان الأوربية، حيث فتك بما لا يقل عن ربع السكان. وبقي هذا المرض شائعاً في أوربا خلال القرون الخامس عشر حتى السابع عشر، ثم بدأ ينحسر منذ القرن الثامن عشر إلى شواطئ البحر المتوسط، ومن هناك انتقل إلى منطقة الخليج وإلى العراق العثماني. انظر: لوريمر، ج. ج.، دليل الخليج، القسم التاريخي، الجزء السادس، مكتب سمو أمير دولة قطر، الدوحة، ١٩٧٦م، ٦/ ٢٦٦٧-٢٦٦٨.

(٥٣) الفاخري، المرجع السابق، ص ٩٧: البسام، المرجع السابق، الورقة ٩٥: ابن عيسى، المرجع السابق، ص ٩٢.

(٥٤) الفاخري، المرجع السابق، ص ٩٧: ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٦٣: البسام، المرجع السابق، الورقة ٩٦: ابن عيسى، المرجع السابق، ص ٩٣.

(٥٥) ابن ربيعة، المصدر السابق، ص ٨٨، ٩٠: ابن عيسى، المرجع السابق، ص ٩٧.

(٥٦) للمزيد من المعلومات عن أحوال بلاد نجد خلال هذه السنوات وما حصل فيها من الخصب ورخص الأسعار، التي وصفها المؤرخون النجديون بعبارة رجعان سحى، أي الخصب بعد الجدب انظر: ابن ربيعة، المصدر السابق، ص ٩٠: الفاخري، المرجع السابق، ص ١٠١: ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٧٠: البسام، المرجع السابق، الورقتان ١٠٢-١٠٣: ابن عيسى، المرجع السابق، ص ١٠١.

(٥٧) البسام، المرجع السابق، الورقة ١٠٤.

(٥٨) ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٧١.

(٥٩) ابن ربيعة، المصدر السابق، ص٩٠.

(٦٠) البسام، المرجع السابق، الورقة ١٠٦.

(٦١) الفاخري، المرجع السابق، ص ١٠٤: ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٧٥: البسام، المرجع السابق، الورقة ١٠٧.

(٦٢) البسام، المرجع السابق، الورقتان ١٥، ١٦ .

(٦٣) انظر مثلاً: البسام، المرجع السابق، الورقة ١٨ .

(٦٤) البسام، المرجع السابق، الورقة ٢٦ .

(٦٥) البسام، المرجع السابق، الورقة ٣٧ .

(٦٦) دحلان، أحمد بن زيني، خلاصة الكلام في بيان أمراء البيت الحرام، الطبعة الأولى، مصر ١٣٠٥هـ، ص٧٥، وانظر كذلك: البسام، المرجع السابق، الورقة ٦٣ .

(٦٧) ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٢١ .

(٦٨) ابن ربيعة، المصدر السابق، ص ٦٠ . وقد أسماه بلدان ورسمناه بلادان من أجل توحيد الاسم كما ورد في المصادر الأخرى. وانظر عن هذا القحط أيضاً: ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٢١: البسام، المرجع السابق، الورقة ٦٤: ابن عيسى، المرجع السابق، ص ٥٤ .

(٦٩) الفاخري، المرجع السابق، ص ص ٦٨-٦٩: ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٢١ .

(٧٠) ابن ربيعة، المصدر السابق، ص ٦٣: ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٢٦: الفاخري، المرجع السابق، ص ٧٢: المنقور، المصدر السابق، ص ٥٠ .

(٧١) المنقور، المرجع السابق، ص ٥٠ .

(٧٢) المرجع نفسه.

(٧٣) الفاخري، المرجع السابق، ص ٧٢: ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٢٧: ابن عيسى، المرجع السابق، ص ٦٠ . وقد ذكر الشبل في تعليقه على كتاب الفاخري، ص٧٢، هامش ١١ تحليلاً لعبارة "غلاء وبلاء" بحساب الجمل كالتالي: ع = ٧٠ + غ = ١٠٠٠ ل = ٣٠ + أ = ١ + و = ٦ + ب = ٢ + ل = ٣٠ + أ = ١، وبذلك يكون مجموعها = ١٠٧٠ وهي تساوي رقم السنة.

(٧٤) الفاخري، المرجع السابق، ص ٧٣: ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٢٧:

ابن عيسى، المرجع السابق، ص ٦١ .

(٧٥) الفاخري، المرجع السابق، ص٧٤ .

(٧٦) ابن ربيعة، المصدر السابق، ص ٦٧ .

(٧٧) عن هذا القحط وآثاره انظر: المنقور، المصدر السابق، ص ٥٤ : الفاخري، المرجع السابق، ص ٧٦ : ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٣٣ : البسام، المرجع السابق، الورقة ٧٥ : ابن عيسى، المرجع السابق، ص ص ٦٥- ٦٦ والفضول: قبيلة (آل فضل) أحد الفروع الرئيسة لقبيلة لام الطائية. انظر تعليق الشبل على الفاخري، المرجع السابق، ص٧٦ هامش ٩ .

(٧٨) عن هذا القحط وآثاره على أحوال الناس، وعن العوامل السلبية الأخرى انظر: المنقور، المصدر السابق، ص ٥٤ : ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٣٤ : البسام، المرجع السابق، الورقة ٧٥ .

(٧٩) المنقور، المصدر السابق، ص ٥٧ .

(٨٠) ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٣٩ .

(٨١) المنقور، المصدر السابق، ص ٦٦ .

(٨٢) ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٤٣ .

(٨٣) الفاخري، المرجع السابق، ص ٩٠ : المنقور، المصدر السابق، ص ٧٦ .

(٨٤) انظر عن هذا القحط والغلاء في هذين العامين كل من: ابن ربيعة، المصدر السابق، ص ٨٢ : الفاخري، المرجع السابق، ص ٩٠-٩١ : ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٥٢ : البسام، المرجع السابق، الورقة ٨٨ : ابن عيسى، المرجع السابق، ص ص ٨٣-٨٤، ٨٥ .

(٨٥) الفاخري، المرجع السابق، ص ٩٦ : ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٦٢ : البسام، المرجع السابق، الورقة ٩٤ .

(٨٦) الفاخري، المرجع السابق، ص ٩٨ : ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٦٤، ٣٦٥ : البسام، المرجع السابق، الورقة ٩٧ : ابن عيسى، المرجع السابق،

ص ٩٤ .

(٨٧) هثل : لهجة نجدية عامية، وهي تعني أن البدو الرحل تركوا البراري ودخلوا البلاد طلبًا للعيش بعد أن قل العشب وهلكت مواشيهم بإذن الله ثم بسبب القحط .

(٨٨) العطار : بفتح العين والطاء المشددة، بلدة قديمة تقع في أسفل وادي الفقي . والعودة : بفتح العين وإسكان الواو هي عودة سدير المعروفة أسفل قرى وادي الفقي . انظر عن هاتين البلدتين : ابن خميس، المرجع السابق، ص ١٦١ ، ١٨٨ .

(٨٩) البسام، المرجع السابق، الورقة ٩٨ .

(٩٠) ابن ربيعة، المصدر السابق، ص ٨٨ .

(٩١) انظر : ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٦٥ : البسام، المرجع السابق، الورقة ٩٨ : ابن عيسى، المرجع السابق، ص ص ٩٥-٩٦ .

(٩٢) انفرد الفاخري بذكر البيت الثالث من هذه القصيدة، لكن بعض كلمات الشطر الأول غير واضحة في الأصل، مع اختلاف رسم بعض الكلمات عمّا أورده البسام، وابن بشر . والمعنى العام لهذه الأبيات هو أن الناس انقسموا، بسبب القحط والمجاعة، إلى ثلاثة أقسام : قسم تشرد يعاني الجوع والعري، وقسم هلك بسبب ذلك، وقسم فر إلى البلاد المجاورة طلبًا للعيش . انظر تعليق الشبل على مخطوطة الفاخري، المرجع السابق، ص ٩٩ هامش ٤ .

(٩٣) البسام، المرجع السابق، الورقة ٩٨ .

(٩٤) ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٦٧ . وانظر كذلك ابن عيسى، المرجع السابق، ص ٩٧ .

(٩٥) الفاخري، المرجع السابق، ص٩٩ : ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٦٦ .

(٩٦) انظر عن هذا الموضوع : ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٧٤ : الفاخري، المرجع السابق، ص ١٠٣ . والحيا : بالقصر والمد، الخصب، وهي عبارة

فصيحة. انظر تعليق الشبل على الفاخري، المرجع السابق، ص ١٠٣، هامش٨.

(٩٧) الوردي، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٩م، ١/ ١١٢.

(٩٨) الفاخري، المرجع السابق، ص ١٠٤: ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٧٥: البسام، المرجع السابق، الورقة ١٠٧.

(٩٩) البسام، المرجع السابق، الورقة ٢٢.

(١٠٠) انظر عن آثار الأحوال الجوية خلال هذه السنوات: البسام، المرجع السابق، الورقتان ٢٣، ٢٦.

(١٠١) عن هذه العوامل خلال هذه السنوات انظر: البسام، المرجع السابق، الورقتان ٤٠، ٥٧.

(١٠٢) البسام، المرجع السابق، ص٢٧.

(١٠٣) الفاخري، المرجع السابق، ص ٨٣: ابن ربيعة، المصدر السابق، ص ٧٦: ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٤٣.

(١٠٤) المنقور، المصدر السابق، ص٧٥.

(١٠٥) ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٥٨.

(١٠٦) الفاخري، المرجع السابق، ص ٩٤. وانظر كذلك: المنقور، المصدر السابق، ص ٨٢: ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٥٩. والذراع: أحد منازل القمر، ومدته ثلاثة عشر يومًا يأتي في أول الربيع وبَرْده يضر الزرع. انظر تعليق الشبل على مخطوطة الفاخري، المرجع السابق، ص ٩٤، هامش ٧.

(١٠٧) انظر عن هذا الموضوع كل من: الفاخري، المرجع السابق، ص ٩٦: ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٦١: البسام، المرجع السابق، الورقة ٩٤: ابن عيسى، المرجع السابق، ص ٩١.

(١٠٨) انظر عن وصف آثار البرد في هذه السنوات: ابن ربيعة، المصدر السابق، ص ٨٧: الفاخري، المرجع السابق، ص ٩٧، ١٠٣: البسام، المرجع

السابق، الورقة ٩٨ .

(١٠٩) الفاخري، المرجع السابق، ص ٨٢ : ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٤١ : ابن عيسى، المرجع السابق، ص ٧٢ .

(١١٠) انظر : ابن ربيعة، المصدر السابق، ص ٨٤ : الفاخري، المرجع السابق، ص ٩٣ : البسام، المرجع السابق، ص ٦٥ : ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٥٨ .

(١١١) البسام، المرجع السابق، الورقة ١٦ .

(١١٢) عن آثار الجراد في هاتين السنتين انظر : البسام، المرجع السابق، الورقة ١٨ .

(١١٣) البسام، المرجع السابق، الورقة ٢٢ .

(١١٤) البسام، المرجع السابق، الورقة ٣٧ .

(١١٥) انظر عن أحوال أهل البلاد النجدية في هذا العام : البسام، المرجع السابق، الورقة ٤٩ .

(١١٦) البسام، المرجع السابق، الورقة ٦٦ .

(١١٧) الفاخري، المرجع السابق، ص٧٢ .

(١١٨) انظر عن ظهور وانتشار الجراد وآثاره في هذين العامين كل من : ابن ربيعة، المصدر السابق، ص ٦٩ : المنقور، المصدر السابق، ص٥٦ : الفاخري، المرجع السابق، ص ٧٧ : ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٣٤ .

(١١٩) الفاخري، المرجع السابق، ص ٨٢ : ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٤١ .

(١٢٠) الفاخري، المرجع السابق، ص ٨٤ .

(١٢١) البسام، المرجع السابق، الورقتان ٨٦، ٨٧ .

(١٢٢) المنقور، المصدر السابق، ص٨٠ .

(١٢٣) ابن عيسى، المرجع السابق، ص ٨٩ .

(١٢٤) الفاخري، المرجع السابق، ص ٩٣ .

(١٢٥) المنقور، المصدر السابق، ص٨٢ .

(١٢٦) انظر المنقور، المرجع السابق، ص ٨٢ .

(١٢٧) البسام، المرجع السابق، الورقة ٩٤ .

(١٢٨) الفاخري، المرجع السابق، ص ٩٧ .

(١٢٩) ابن ربيعة، المصدر السابق، ص ٨٨ : الفاخري، المرجع السابق، ص ٩٩ : ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٦٧ : البسام، المرجع السابق، الورقة ٩٨ : ابن عيسى، المرجع السابق، ص ١٠٤ .

(١٣٠) الفاخري، المرجع السابق، ص ١٠٣ : البسام، المرجع السابق، الورقة ١٠٦ .

(١٣١) البسام، المرجع السابق، الورقة ١٧ .

(١٣٢) لا شك أن الأوبئة والأمراض كانت تجتاح أغلب مناطق العالم بين حين وآخر . و يبدو أن العراق كان أكثر بلاد الجزيرة العربية تأثرًا بالأوبئة، بل إن الوردي يذكر أن الأوبئة تجتاح العراق في العهد العثماني مرة كل عشر سنوات تقريبًا، وهو يعلل ذلك بوقوع العراق في طريق الحج بالنسبة لبعض الدولة الإسلامية في الشرق، ثم إن العراق يضم أماكن دينية يقصدها الزوار من أهل الشيعة، ولهذا ؛ فان أي وباء ينتشر في البلاد الأخرى ينتقل إلى العراق لتلك الأسباب . ونحن نعتقد بدورنا أن أي وباء يجتاح العراق يؤثر في الغالب على بلاد نجد، بسبب العلاقة الاقتصادية والتجارية بين البلدين، وبسبب مرور الحجاج العراقيين على بلاد نجد في طريقهم إلى مكة المكرمة للحج، والمدينة المنورة للزيارة، ويكون تأثيره بحسب قوته ومدى انتشاره . انظر عن الأوبئة في العراق، الوردي، المرجع السابق، ص ٢٠ .

(١٣٣) البسام، المرجع السابق، الورقة ١٨ .

(١٣٤) المرجع نفسه .

(١٣٥) انظر عن هذا الوباء وآثاره : البسام، المرجع نفسه .

(١٣٦) انظر ما ذكرنا سابقًا عن الأوبئة في العراق. وانظر كذلك: البسام، المرجع السابق، الورقة ٥٣ .

(١٣٧) البسام، المرجع السابق، الورقة ٥٥ .

(١٣٨) انظر: دحلان، المرجع السابق، ص٧٥ . ولم يرد في رواية البسام، المرجع السابق، الورقة ٦٣، أية معلومات إضافية.

(١٣٩) ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٢١ .

(١٤٠) ابن ربيعة، المصدر السابق، ص٦٩ .

(١٤١) المنقور، المصدر السابق، ص ص ٦٢-٦٣ .

(١٤٢) المنقور، المصدر السابق، ص ص ٦٤-٦٥ : الفاخري، المرجع السابق، ص ٨٣ : ابن عيسى، المرجع السابق، ص ص ٧٣-٧٤ .

(١٤٣) الفاخري، المرجع السابق، ص ٨٤ .

(١٤٤) ابن ربيعة، المصدر السابق، ص ص ٧٦-٧٧ : ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٤٤ : البسام، المرجع السابق، الورقة ٨٢ .

(١٤٥) ابن ربيعة، المصدر السابق، ص ص ٧٦-٧٧ .

(١٤٦) المنقور، المصدر السابق، ص ص ٦٧ ، ٧٤ . وقد ذكر في صفحة ٧٩ عن حوادث سنة ١١١٦هـ قوله: "وتعرض فزعه لمرض في الباطن" وقد استوقفتني كلمة مرض لكنني لم أستطع تسجيلها في المتن لعدم جزمي بما تعنيه هذه العبارة، هل هو مرض في الباطن وماذا تعني كلمة فزعه. ولهذا؛ فإنني سأتوقف عندها حتى يتبين لي معناها.

(١٤٧) انظر عن حياة هذا العالم: ابن عيسى، المرجع السابق، ص ص ٨٨-٨٩ . وكذلك تعليق الشبل على كتاب الفاخري ص ٩٣ هامش ٦ ، وتعليق آل الشيخ على كتاب ابن بشر ٢/ ٣٥٨ هامش ١ .

(١٤٨) انظر عن هذا المرض وآثاره، ومن توفوا به: المنقور، المصدر السابق، ص٨١: الفاخري، المرجع السابق، ص ٩٣ : ابن بشر، المرجع السابق،

٢/ ٣٥٧ : البسام، المرجع السابق، الورقة ٩٢ : ابن عيسى، المرجع السابق، ص ص ٨٨-٨٩ .

(١٤٩) انظر عن هذا الوباء أو المرض: ابن ربيعة، المصدر السابق، ص٨٤ : الفاخري، المرجع السابق، ص ٩٤ : ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٥٩ : البسام، المرجع السابق، الورقة ٩٤ : ابن عيسى، المرجع السابق، ص٩٠ .

(١٥٠) الفاخري، المرجع السابق، ص ٩٥ : ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٦١ : البسام، المرجع السابق، الورقة ٩٤ : ابن عيسى، المرجع السابق، ص ٩١ . وقد ذكر ابن ربيعة، المصدر السابق، ٨٥، أن وفاة الشيخ محمد بن عبدالوهاب المذكور في النص كانت في العام التالي ١١٢٧هـ.

(١٥١) البسام، المرجع السابق، الورقة ٩٥

(١٥٢) ابن ربيعة، المصدر السابق، ص ٨٦ : الفاخري، المرجع السابق، ص٩٧ : ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٦٣ : ابن عيسى، المرجع السابق، ص ٩٣

(١٥٣) ابن ربيعة، المصدر السابق، ص٨٨ .

(١٥٤) انظر عن هذا الوباء: ابن ربيعة، المصدر السابق، ص ٨٩ : الفاخري، المرجع السابق، ص ١٠٠ : ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٦٧ : البسام، المرجع السابق، الورقة ١٠٢ : ابن عيسى، المرجع السابق، ص ٩٧ .

(١٥٥) انظر هذه الأسماء في: ابن بشر، المرجع السابق، ٢/ ٣٦٩ : الفاخري، المرجع السابق، ص ١٠٠ : البسام، المرجع السابق، الورقة ١٠٣ ، وقد أوردهم بالتفصيل المذكور في النص ابن عيسى، المرجع السابق، ص ١٠٠

(١٥٦) عن موضوع قلة المعلومات والمصادر المحلية لتاريخ بلاد نجد انظر: الخضيري، محمد بن سليمان، العوامل الكونية . . . ، المرجع السابق، ص ص ٣٤-٣٧ .

(١٥٧) انظر المقال السابق الذي يناقش العوامل الكونية وأثرها على أحوال السكان في بلاد نجد في الفترة (١١٥٨-١٣٠٩هـ) وهو يعتمد على تحليل الأحداث

حسب السنوات وما حصل في كل سنة من تلك العوامل الكونية، بالإضافة إلى جداول للسنوات التي حصلت فيها تلك العوامل، وإحصاء بأسعار أهم الحاصلات الزراعية في بلاد نجد في تلك الفترة.

جدول يبين ما حصل في بلاد نجد من عوامل كونية خلال السنوات التي غطتها الفترة الزمنية للبحث

السنة	خصب	رخص	قحط	غلاء	بَرَد	بَرْد	جراد	وباء	رياح
٨٥٠									
٨٥١									
٨٥٢									
٨٥٣									
٨٥٤									
٨٥٥									
٨٥٦	✓	✓							
٨٥٧			✓				✓		
٨٥٨									
٨٥٩									
٨٦٠									
٨٦١									
٨٦٢								✓	
٨٦٣									
٨٦٤	✓								
٨٦٥			✓	✓				✓	
٨٦٦									
٨٦٧				✓			✓	✓	
٨٦٨			✓	✓					
٨٦٩			✓	✓				✓	
٨٧٠	✓								
٨٧١									
٨٧٢									
٨٧٣									
٨٧٤									
٨٧٥									
٨٧٦									
٨٧٧									
٨٧٨	✓								
٨٧٩	✓								
٨٨٠									
٨٨١									
٨٨٢									
٨٨٣						✓	✓		
٨٨٤									

جدول يبين ما حصل في بلاد نجد من عوامل كونية خلال السنوات التي غطتها الفترة الزمنية للبحث

السنة	خصب	رخص	قحط	غلاء	بَرَد	بَرْد	جراد	وباء	رياح
٨٨٥					✓				
٨٨٦									
٨٨٧									
٨٨٨									
٨٨٩									
٨٩٠									
٨٩١									
٨٩٢	✓						✓		
٨٩٣					✓				
٨٩٤									
٨٩٥			✓	✓					
٨٩٦			✓	✓					
٨٩٧									
٨٩٨									
٨٩٩	✓	✓				✓			
٩٠٠									
٩٠١									
٩٠٢									
٩٠٣									
٩٠٤									
٩٠٥							✓		
٩٠٦									
٩٠٧									
٩٠٨									
٩٠٩									
٩١٠	✓	✓							
٩١١									
٩١٢									
٩١٣									
٩١٤									
٩١٥									
٩١٦							✓		
٩١٧	✓	✓							
٩١٨									
٩٢٠									

جدول يبين ما حصل في بلاد نجد من عوامل كونية خلال السنوات التي غطتها الفترة الزمنية للبحث

السنة	خصب	رخص	قحط	غلاء	بَرَد	بَرْد	جراد	وباء	رياح
٩٢١									
٩٢٢									
٩٢٣									
٩٢٤									
٩٢٥									
٩٢٦									
٩٢٧									
٩٢٨									
٩٢٩									
٩٣٠	✓	✓							
٩٣١									
٩٣٢									
٩٣٣									
٩٣٤									
٩٣٥									
٩٣٦									
٩٣٧									
٩٣٨									
٩٣٩				✓	✓		✓		
٩٤٠				✓	✓				
٩٤١	✓	✓							
٩٤٢									
٩٤٣									
٩٤٤									
٩٤٥									
٩٤٦									
٩٤٧									
٩٤٨									
٩٤٩									
٩٥٠									
٩٥١									
٩٥٢									
٩٥٣					✓				
٩٥٤									
٩٥٥	✓	✓							

جدول يبين ما حصل في بلاد نجد من عوامل كونية خلال السنوات التي غطتها الفترة الزمنية للبحث

السنة	خصب	رخص	قحط	غلاء	بَرَد	بَرْد	جراد	وباء	رياح
٩٥٦									
٩٥٧									
٩٥٨									
٩٥٩									
٩٦٠									
٩٦١									
٩٦٢									
٩٦٣									
٩٦٤									
٩٦٥									
٩٦٦									
٩٦٧									
٩٦٨									
٩٦٩			✓	✓		✓			
٩٧٠	✓	✓							
٩٧١									
٩٧٢									
٩٧٣									
٩٧٤									
٩٧٥									
٩٧٦									
٩٧٧									
٩٧٨									
٩٧٩									
٩٨٠									
٩٨١									
٩٨٢									
٩٨٣									
٩٨٤							✓	✓	
٩٨٥									
٩٨٦									
٩٨٧									
٩٨٨									
٩٨٩									
٩٩٠									

جدول يبين ما حصل في بلاد نجد من عوامل كونية خلال السنوات التي غطتها الفترة الزمنية للبحث

السنة	خصب	رخص	قحط	غلاء	بَرَد	بَرْد	جراد	وباء	رياح
٩٩١									
٩٩٢									
٩٩٣									
٩٩٤									
٩٩٥									
٩٩٦									
٩٩٧	✓								
٩٩٨									
٩٩٩									
١٠٠٠									
١٠٠١									
١٠٠٢									
١٠٠٣									
١٠٠٤									
١٠٠٥									
١٠٠٦									
١٠٠٧									
١٠٠٨									
١٠٠٩	✓	✓							
١٠١٠									
١٠١١									
١٠١٢									
١٠١٣									
١٠١٤									
١٠١٥									
١٠١٦									
١٠١٧									
١٠١٨									
١٠١٩									
١٠٢٠									
١٠٢١	✓	✓						✓	
١٠٢٢									
١٠٢٣									
١٠٢٤									
١٠٢٥	✓						✓		

جدول يبين ما حصل في بلاد نجد من عوامل كونية خلال السنوات التي غطتها الفترة الزمنية للبحث

السنة	خصب	رخص	قحط	غلاء	بَرَد	بَرْد	جراد	وباء	رياح
١٠٢٦									
١٠٢٧									
١٠٢٨									
١٠٢٩									
١٠٣٠									
١٠٣١									
١٠٣٢									
١٠٣٣					✓				
١٠٣٤									
١٠٣٥									
١٠٣٦									
١٠٣٧									
١٠٣٨									
١٠٣٩	✓	✓							
١٠٤٠									
١٠٤١									
١٠٤٢			✓	✓					
١٠٤٣									
١٠٤٤			✓	✓					
١٠٤٥			✓	✓				✓	
١٠٤٦			✓	✓					
١٠٤٧									
١٠٤٨									
١٠٤٩									
١٠٥٠									
١٠٥١									
١٠٥٢									
١٠٥٣									
١٠٥٤									
١٠٥٥									
١٠٥٦							✓		
١٠٥٧									
١٠٥٨									
١٠٥٩									
١٠٦٠									

جدول يبين ما حصل في بلاد نجد من عوامل كونية خلال السنوات التي غطتها الفترة الزمنية للبحث

السنة	خصب	رخص	قحط	غلاء	بَرَد	بَرْد	جراد	وباء	رياح
١٠٦١			✓						
١٠٦٢									
١٠٦٣			✓						
١٠٦٤			✓						
١٠٦٥									
١٠٦٦			✓						
١٠٦٧									
١٠٦٨									
١٠٦٩									
١٠٧٠									
١٠٧١									
١٠٧٢	✓	✓							
١٠٧٣							✓		
١٠٧٤									
١٠٧٥									
١٠٧٦			✓	✓			✓		
١٠٧٧									
١٠٧٨									
١٠٧٩	✓	✓							
١٠٨٠									
١٠٨١									
١٠٨٢				✓			✓		
١٠٨٣									
١٠٨٤									
١٠٨٥				✓	✓				
١٠٨٦	✓				✓				
١٠٨٧				✓	✓		✓		
١٠٨٨	✓	✓							
١٠٨٩		✓					✓		
١٠٩٠									
١٠٩١									
١٠٩٢							✓		
١٠٩٣	✓								
١٠٩٤									
١٠٩٥									

جدول يبين ما حصل في بلاد نجد من عوامل كونية خلال السنوات التي غطتها الفترة الزمنية للبحث

السنة	خصب	رخص	قحط	غلاء	بَرَد	بَرْد	جراد	وباء	رياح
١٠٩٦		✓		✓					
١٠٩٧									
١٠٩٨								✓	✓
١٠٩٩	✓	✓					✓	✓	
١١٠٠	✓			✓		✓			
١١٠١									
١١٠٢								✓	
١١٠٣									
١١٠٤									
١١٠٥									
١١٠٦									
١١٠٧									
١١٠٨									
١١٠٩									
١١١٠							✓		
١١١١								✓	
١١١٢						✓	✓		
١١١٣									
١١١٤			✓	✓					
١١١٥			✓	✓					
١١١٦			✓						
١١١٧									
١١١٨									
١١١٩									
١١٢٠							✓		
١١٢١								✓	
١١٢٢	✓	✓			✓		✓		✓
١١٢٣	✓	✓				✓	✓		
١١٢٤		✓							
١١٢٥	✓	✓				✓		✓	
١١٢٦								✓	
١١٢٧						✓	✓		
١١٢٨			✓						
١١٢٩			✓						
١١٣٠			✓						

جدول يبين ما حصل في بلاد نجد من عوامل كونية خلال السنوات التي غطتها الفترة الزمنية للبحث

السنة	خصب	رخص	قحط	غلاء	بَرَد	بَرْد	جراد	وباء	رياح
١١٣١	✓		✓						
١١٣٢	✓								
١١٣٣	✓	✓				✓	✓		
١١٣٤						✓	✓		
١١٣٥			✓	✓					
١١٣٦			✓						
١١٣٧	✓		✓	✓		✓	✓	✓	
١١٣٨	✓	✓						✓	
١١٣٩	✓	✓						✓	
١١٤٠	✓								
١١٤١									
١١٤٢									
١١٤٣						✓			
١١٤٤									
١١٤٥									
١١٤٦			✓						
١١٤٧							✓		
١١٤٨									
١١٤٩									
١١٥٠	✓	✓							
١١٥١									
١١٥٢									
١١٥٣									
١١٥٤			✓	✓					
١١٥٥	✓	✓							
١١٥٦									
١١٥٧									